

روايات مصرية للجيب
64
ما وراء الطبيعة
أسطورتهم
Looloo
www.dvd4arab.com
د. أحمد خالد توفيق

تيليكينيزيس : من اليونانية (تلى + كيزنس = حركة) . الحركة الظاهرية للأجسام (بوساطة وسيط روحانى مثلاً) من دون تلامس أو أية وسيلة مادية أخرى .

قاموس وبستر الشامل ـ الطبعة السابعة

الوجه الثالث

الشوارع حواديت (★) ...

(★) القصيدة موجودة ضمن الأعمال الشعرية الكاملة لـ (صلاح جاهين) ، لكن هناك اختلافات طفيفة عن الأغنية .. وما استعملته هنا مقاطع من الأغنية لا القصيدة .

1

الشارع ده كنا ساكنين فيه زمان ..

كل يوم يضيق زيادة عن ما كان ..

أصبح الآن بعد ما كبرنا عليه ..

زى بطن الأم مالناش فيه مكان ..

أغنية قديمة لفريق المصريين

كلمات (صلاح جاهين)

* * *

(فاتن) و(ممدوح) و(عاطف) يلعبون ..

لقد انتهت أيام المدرسة ، وهناك ذلك الشعور الساحر بأن الكون قرر أن يتجمل اليوم ، وأن يعتذر عن فظاظته السابقة .. حقًّا لا توجد إمكانيات سخية للهو ، لكن خيال الأطفال قادر على كل شىء .. هذه الصالة الكئيبة فى بيت (ممدوح) والتى تغمرها الشمس الآتية من تلك النافذة ذات الزجاج المصنفر ، لعبت مع الأطفال دور شاشة السينما التى شهدت كل شىء ممكن .. كم من يوم صارت فيه هذه الصالة بحرًا يعج بأسماك القرش ، ثم تحولت بمعجزة ما إلى

ميدان حرب تتناثر فيه أشلاء القتلى ، ثم غدت بيتًا يلعبون فيه (عريس وعروس) حيث مائدة الطعام والأطباق وغرفة الضيوف ، ثم صارت دغلاً تتوارى فيه الفهود خلف الأشجار ..

كل شىء ممكن .. لا توجد قيود .. لا قواعد للعبة ..

فقط ينتهى كل شىء حينما تظهر القدمان الكبيرتان المتشققتان لأحد الكبار فى خف أو حذاء أو حافيتين ، وهو يجرهما جرًّا إلى ساحة الحرب أو الدغل أو بيت العروسين ، ليعلن أن على (فاتن) و(عاطف) أن يعودا لأن الغداء ينتظرهما ..

تتوسل (فاتن) أن يتركوها بعض الوقت .. تريد أن تتناول غداءها هنا .. لكن صرامة أوامر الكبار لا تتزحزح .. دعك - بالطبع - من لحظات الخلاف بين أمها وأم (ممدوح) ، حينما تقرر أم منهما أن جارتها ثرثارة كذوب مغرورة ، وأن أمثالها يجب أن يجلدن بالسياط .. من ثم يصدر أمر حظر التجوال وتمر أيام عدة قبل أن تعود المياه لمجاريها ..

رائحة صينية البطاطس داخل الفرن ، وصوت الدجاج الذى يتشاجر على السطح ، وتلك النملة العملاقة التى يطلقون عليها (حرامى الحلة) على مدخل الدار ، ومذاق الفراولة (الشليك) فى الطبق المعدنى الذى جلبته لهم

أم (ممدوح) .. كل هذا العالم الثرى من تفاصيل الحواس والذى أفلت منا نحن الكبار للأبد ..

★ ★ ★

الشارع ده أوله بساتين ..

وآخره حيطة سد ..

ليا فيه قصة غرام ..

ما حكيتش عنها لأى حد ..

من طرف واحد وكنت سعيد أوى ..

بس حراس الشوارع حطوا للحدوتة حد ...

★ ★ ★

(فاتن) و(ممدوح) و(عاطف) يلعبون ..

(عاطف) هو أصغرهم سنًا .. ونحن متفقون على أن الأطفال ساديون بطريقة مخيفة .. كل ما هو جميل أو رقيق يجب أن يعذب أو يحرق أو يدمر أو يبدد .. ولما كان (عاطف) طفلاً بريئًا هشًا فى الخامسة فإن أخته (فاتن) وصديقه (ممدوح) قررا أن يحيلا حياته إلى جحيم عن طريق المقالب والسخرية ..

وكان هذا البائس لا يملك إلا أن يصرخ ويهرع إلى أم (ممدوح) فى المطبخ ليشكو لها قسوة ابنها، أو يهرع إلى أمه هو ليشكو لها قسوة (ممدوح) وأخته، فتكتفى المرأتان بأن تقول كل منهما وهى تكافح المخاط الذى يسيل من أنفها بفعل البصل :

ـ « لا تضايقا (عاطف) يا أولاد .. لو سمعت شكوى أخرى لمنعته من اللعب معكما ! »

وهو عقاب فريد من نوعه لا يبدو أنه يؤذى أحدًا سوى (عاطف) لذا سرعان ما يقرر أن يصمت لدى المقلب التالى ..

فى هذا اليوم كانت (فاتن) فى دارها تقرأ قصة مصورة لهما :

ـ « ونظر الساحر إلى المقعد .. وركز بصره بقوة .. وهنا بدأ المقعد يرتفع .. ويرتفع .. ويرتفع .. »

على صفحات المجلة كانت صورة جميلة بألوان مبهجة، لساحر ينظر إلى مقعد ويركز بصره بقوة، فإذا بالمقعد يرتفع ويرتفع ..

اتسعت عينا (عاطف) بذلك المزيج الذى لا تعرف إن كان رعبًا أم انبهارًا، والذى لا تعبر عنه إلا عينا طفل .. فقال (ممدوح) :

ـ « هذا ليس خيالاً .. أبى يقول إنه رأى هذا المشهد فى أحد أندية الإسكندرية .. »

قالت (فاتن) وهى تبتسم بخبث :

ـ «كل واحد منا له هذه القدرة .. هل هى لديك يا (عاطف) ؟»

نظر لها (عاطف) حائرًا .. هو أولاً لا يفهم معنى كلمة (قدرة) .. لكنه يخشى أن يسأل كى لا يسخرا منه .. هزَّ رأسه أن نعم .. مادام هذا الشىء لديهما فلابد أنه عنده ..

نهضت (فاتن) مسرعة وهرعت تفتح باب الشقة ، وقالت لـ(ممدوح) :

ـ «لا تلحقا بى .. سأناديكما حين أكون مستعدة !»

لم يفهم (ممدوح) لكنه قرر أنها تعرف ما تفعله .. مع (فاتن) اترك نفسك تمامًا ، فالفتاة ذكية واسعة الحيلة .. هكذا ظل مع (عاطف) يتظاهران بالقراءة ..

ـ «تعاليا إلى السطح !»

هكذا جاء صوتها من نافذة المسقط ..

لم ينتظر الصبيان حتى يفهما .. هرعا إلى باب الشقة وانسلا قبل أن تسمع الأم خطواتهما على الدرج ..

السطح .. قطع القرميد الملقاة والمقاعد المهشمة وعش الدجاج التى تفوح منها رائحة الخبز المختمر .. رائحة ضوء

الشمس (نعم لضوء الشمس فى أنف الأطفال رائحة) .. هوائى التلفزيون الصدئ وعالم سحرى آخر يعشقونه جميعًا ، لكن الكبار يضعون عليه ألف علامة تحذير .. لأن الأطفال لا يفعلون شيئًا سوى السقوط من أعلى أسطح البيوت ، وهم يفعلون ذلك فى ولع جنونى ..

كانت (فاتن) تقف قرب السور .. وعلى السور المكون من قطع القرميد تراصت عدة علب طعام فارغة .. ربما كانت تحوى فولاً أو سلامون .. لا أحد يعرف أو يذكر ..

كانت العلب ستًا .. وكانت متراصة بتلك الطريقة التى يتدربون بها على التصويب فى أفلام رعاة البقر ...

قالت (فاتن) وهى تجلس على الأرض :

ـ «جرب يا (عاطف) ..»

سألها وهو يشعر بالخجل من غباوته :

ـ «أجرب ماذا ؟»

ـ «جرب أن تحركها بعقلك ..»

بدت عليه الحيرة :

ـ «لكنى لا أعرف كيف !»

غمزة عابرة نحو (ممدوح) شريكها فى كل الجرائم ، ثم قالت لأخيها الساذج :

- « كلنا يعرف كيف .. ركز تفكيرك وحرك العلبة .. هلم ! يجب أن تتعلم هذا ! هذا سهل ! »

هكذا جلس الصغير بضمير نقى يحاول أن يفعل كما قالا .. ركز تفكيره أكثر وهو ينظر إلى العلب .. ركز وركز .. كل ما كان يبتغيه هو ألا ينال سخريتهما .. هذان الكبيران الناضجان يحركان الأشياء بعقليهما وهو لا .. هذه فضيحة ...

ماذا تنتويه (فاتن) ؟ كذا فكر (ممدوح) .. ثم نظر إليها حيث جلست على الأرض .. هناك شىء فى قبضتها اليمنى المطبقة .. دقق النظر أكثر ثم دنا ليقف جوارها ..

نعم .. ذلك الخيط الرفيع الذى يخرج من قبضتها .. يتلوى كثعبان شفاف على الأرض ، ثم يغير اتجاهه ليلتف حول مسمار فى السور ويغيب خارجه .. يستطيع أن يراه بعين الخيال يتدلى فى الخارج مسافة لا بأس بها ، ثم يرتفع حول قاعدة إحدى العلب بحيث لا يراه أحدهم ..

ابتسم وكتم ضحكته .. هذه هى (فاتن) الخبيثة التى يعرفها ..

- « هلم يا (عاطف) ! ركز يا (عاطف) ! »

وفى اللحظة التالية رآها (ممدوح) بطرف عينه تجذب الخيط .. وطارت العلبة لتسقط فى الشارع ..

أطلق (ممدوح) صرخة فرح وركض ليحتضن (عاطف) :

- « فعلتها يا (عاطف) ! فعلتها !! »

أما (عاطف) فكان يضحك ضحكة بلهاء عاجزًا عن تصديق ما فعله .. لكن ما تراه بعينيك لا يمكن أن يكون خطأ .. (فاتن) ظلت تنظر إلى العلب الثابتة وقد فتحت فمها كأنما هى تريد أن تقول شيئًا ..

هتف (عاطف) وهو يتواثب على السطح :

- « أنا فعلتها ! سأنزل لأخبر ماما !! »

وهو لم يكن واثقًا أى شىء فعله بالضبط .. هو رأى الانبهار فى عين (ممدوح) فعرف أنه أنجز شيئًا عظيمًا ..

وجرى إلى الدرج قبل أن يتمكن أحد من منعه .. فالمفترض أنهم لم يفارقوا البيت قط ...

بعد رحيله ساد الصمت ثم هتف (ممدوح) وهو يضرب على معصم (فاتن) فيصدر سوارها صوت (شخللة) :

- « أنت بارعة حقًا ! لقد خدعناه ! »

ظلت شاخصة البصر ترنو إلى العلب ثم قالت :

ـ « تلك العلبة التى أسقطها .. »

ـ « ما بالها ؟ »

ـ « لم تكن ذات العلبة التى ربطتها أنا !! »

وفى يدها رأى الخيط المشدود ..

أردفت بذات النظرة الساهمة :

ـ « طريقتى كانت فاشلة .. لقد جذبت الخيط فلم يسقط شىء !! »

★ ★ ★

2

الشوارع حواديت ..

حوداية الحب فيها ..

وحوداية عفاريت ..

(واسمعى يا حلوة لما أضحكك) ..

★ ★ ★

(فاتن) و(ممدوح) و(عاطف) لم يعودوا كما كانوا ..

بعبارة أدق تم استبعاد (ممدوح) من عالمهما لأن (فاتن) كبرت ، ولأن (ممدوح) صار صوته خشنًا يذكرك بصرير حذائك على الباركيه .. نفس ما حدث لى فى بيت خالى عندما لم يعد من حقى أن أعتبر (عبير) و(إلهام) صديقين طويلى الشعر .. وكنت أنا فى ذلك الوقت غارقًا حتى الأذنين فى حب (إلهام) ـ سيدة الأقمار السبعة ـ من بعيد بعدما انتهت قصتى مع (شيراز) بمفاجأة مخيفة .. حكيت لكم قصة البيت عام 1995 ولن أحكيها ثانية فلا تقلقوا ..

كان بيتنا ـ بيت خالى ـ يقع فى الشارع المجاور على بعد أمتار لو افترضنا أنك ستقفز فوق البيوت كالرجل الوطواط ،

أما مع قدرات البشر المحدودة فهو يقع على بعد سبع دقائق تصل فيها لنهاية الشارع ثم تدور عائدًا ..

كنت أعرف (فاتن) وأخاها الأصغر (عاطف)، ولعبت مع (ممدوح) عدة مرات فى الساحة الخالية فى نهاية شارعهم .. وكان حذاؤه ثقيلاً وقدمه أثقل حتى تذكرك ركلته بركلات البغال ..

بالطبع لم تصل صداقتنا إلى معرفة تفاصيل صغيرة كقصة مغامرة تحريك العلبة هذه .. لم أعرفها إلا بعد فترة طويلة ..

لم أعرف أن (فاتن) قالت لـ (ممدوح):

- « لن نسمح لـ (عاطف) بأن يتفوق علينا بهذه الموهبة .. دعنا نقنعه بأنه لم يحرك شيئًا .. »

نظر لها فى رعب .. لم يتخيل أنها بهذه القسوة ..

قالت فى إصرار:

- « لن أسمح لهذا الصبى بأن يتباهى علينا .. اسمع .. لقد صعدنا هنا كى نسخر منه فلم يتغير شىء .. سننزل تحت ونسخرْ منه ! »

نعم كانت بهذه القسوة فعلاً، ولعلها كانت تستخدم جينات أنثوية انتقلت لها منذ زمن سحيق .. من عهد (سالومى Salome)

التى رقصت حول رأس (يوحنا المعمدان John the Baptist) وشجرة الدر التى أعدمت زوجها بالقباقيب، (وسميراميس) التى جعلت زوجها يتنازل لها عن العرش ثم قطعت رأسه ...

هكذا نزل الصبيان إلى الشقة ليلحقا بالصغير الذى كان واقفًا على باب المطبخ يريد أن يكلم أمه .. وسرعان ما جذباه إلى الخارج وهما يوشكان على الانفجار ضحكًا ...

قالت له (فاتن) ضاحكة:

- « يا لك من أحمق ! لقد خدعناك تمامًا !! »

وفتحت يدها لتريه أنها تلف الحبل حول كفها ...

نظر لها فى غباء وقال:

- « أنا أسقطت العلبة من دون أن ألمسها ! »

- « بل أنا التى فعلت هذا .. كنا نمازحك !! »

ونظر لها غير مصدق ونظر لـ (ممدوح) فرأى أنهما موشكان على فقدان الوعى من فرط الضحك .. كلا .. ليست الحياة بهذه القسوة ولا يجب أن تكون ...

وفى غرفته المشتركة مع (فاتن) وقف مسلطًا عينيه على بعض اللعب وحاول أن ... حاول أن ... حاول أن ... يحركها ...

لا جدوى ! وهذا شىء يعرفه كل المحركين طبعًا بدءًا بالنصاب (جيلر) الذى تحدثنا عنه سابقًا وانتهاء بالحقيقيين منهم .. هذه الموهبة غير متاحة بضغطة زر .. أحيانًا تخرج وأحيانًا لا .. إنها عنيدة كقط علمته حركة بهلوانية ويرفض أن يؤديها إلا حينما يريد ذلك .. لكن بالنسبة للطفل الغرير كان الجواب واضحًا .. لقد خدعاه وما أكثر ما خدعاه !

خيبة أمل عابرة ثم نسى كل هذا بذاكرة الأطفال التى لا تحتفظ بأى حدث أكثر من خمس دقائق ، وسرعان ما انضم إليهما يبحث عن لعبة جديدة ..

وقالت (فاتن) لـ (ممدوح) :

- « الواقع أننا أحمقان .. مرة واحدة لا تكفى للحكم .. ربما - بعد كل شىء - هو لا يملك هذه الموهبة .. لقد أحسنًا التصرف ! »

عرفت هذا كله فيما بعد ....

★ ★ ★

الشارع ده رحنا فيه المدرسة ..

إللى باقى منه باقى ..

وإللى موش باقى اتنسى ..

كنسوه الكناسين بالمكنسة ..

بدموع لحظة أسى ..

أنا برضه كمان نسيت ..

★ ★ ★

فى الصباح كنا نذهب إلى المدرسة .. الشارع العجوز الذى حفظ خطواتنا ألف مرة ..

مهما كان رأيك فى المدرسة فلا شىء يوحى بالسلام والاستقرار أكثر من منظر تلاميذ ذاهبين فى الصباح إلى المدرسة .. لوحة اسمها (الغد) ..

على هذه الناصية ينتظرنا (ممدوح) .. بينما يكون (عماد) و(مدحت) معى .. (عماد) يمسك بيد (عبير) الصغيرة المشاكسة .. بعد قليل تظهر (فاتن) ببذلة الإعدادى الكحلية من بعيد .. لا تقول شيئًا لكنها تطلق سراح (عاطف) أخاها الصغير ليجرى لاحقًا بـ (ممدوح) .. يستدير الأولاد مبتعدين بينما أتوقف لحظة متظاهرًا بأن رباط حذائى مفكوك .. الحقيقة أننى أنحنى لأفكه وأربطه ثانية إلى أن تظهر (إلهام) قادمة من الشارع المجاور .. بشعرها القصير (آلاجارسون) الذى يترجمه العقاد بـ(الغلامة) ويترجمه طه حسين بـ (المسترجلة) .. نظرة عابرة تشعرنى أن الكون بخير والأفلاك بحالتها ثم

أستدير لألحق بالأولاد ، بينما تتأبط (إلهام) ذراع (فاتن) وترحلان نحو عالمهما القصى البعيد .. مدرسة البنات حيث تجلس صانعات الأحلام معًا ، بينما نحن هنا فى مدرسة الأولاد نضرب بعضنا حتى الموت ، ونتمرغ فى الرمال ، ونتبادل الشتائم طيلة الوقت ..

فى هذا الصباح أدركت أن (فاتن) ليست على ما يرام .. وجهها يبدو كبطن ضفدع تم وضعه فوق المقلاة .. هذه الفتاة لم تنم على الإطلاق ..

لم أكن أعرف أنها على هذا الحال منذ شهر .. والسبب أن أخاها الصغير (عاطف) مازال يشاركها حجرتها .. و(عاطف) ينام مبكرًا بينما تظل هى ساهرة تراقب أشياء غريبة تحدث ..

الدمى التى تدير رأسها حينما لا تنظر نحوها ..

هل هذا شىء صحى ؟

المقاعد التى تزحف على أرض الغرفة ببطء شديد لكن بما يكفى لإحداث صوت .. هل هذا أنسب الأجواء للنوم ؟

وماذا عن الأقلام التى تتدحرج من على المكتب فى الرابعة صباحًا ؟

وماذا عن ......

الحقيقة أنها كانت تعيش أسود ليالى حياتها ومعها حق ..

* * *

3

الشارع ده شفتك وانتى ماشية فيه ..

لابسة جينز وبلوزة وردى وعاملة ديل حصان وجيه ...

اتجاهك ف اتجاهى مشينا فيه ..

والشارع ده ضباب وتيه ..

بس لازم نستميت !

* * *

بعد مرور بضع ليال قررت أن تخبر أمها ..

الأم لم تصدق حرفًا بالطبع .. لكنها قررت أن تدخل الغرفة عدة مرات فى تلك الليلة ، ولم تكن متأكدة مما إذا كانت (فاتن) نائمة أم لا ، لكنها كانت متأكدة من (عاطف) .. وقد وقفت بعض الوقت تتشمم الهواء وتنظر للأشياء ثم غادرت الحجرة ..

بعد ساعة أخرى شعرت بقلق فنهضت ..

وعلى باب الحجرة سمعت ذلك الصرير المميز لشخص يمشى على الأرض الخشبية .. إنها (فاتن) بلاشك ذاهبة إلى الحمام .. انتظرت ثم فتحت الباب ودخلت .. الصغيران نائمان كما هما .. لكن ...

من أين يأتى هذا الصوت بالضبط ؟

كان المقعد الخشبى الذى تدرس عليه (فاتن) يمارس عملاً غريبًا بعض الشىء .. كان يتسكع ! بكل استهتار ووقاحة المتسكعين يتواثب على رجل واحدة .. قليلة هى المقاعد قليلة الحياء لهذا تعتبر رؤية أحدها شيئًا مرعبًا ...

طبعًا ماتراه الأم ليس سوى ظاهرة (بولترجايشت) .. والتى يعتقد العلماء أنها نوع من التحريك عن بعد يتم لا إراديًا ، لكن من أين لها بـ (رفعت إسماعيل) ليخبرها بهذا ؟ إنه الآن فى داره مجرد مراهق تعس ينام حالمًا بعلقة من مدرس من الجغرافيا غدًا ؛ لأنه لم يرسم خارطة آسيا فى الكراس ..

هكذا أطلقت الأم صرخة لا بأس بها أبدًا وأضاءت الضوء ..

وفى اللحظة التالية استقر المقعد فى براءة على أرجله الأربع ..

ونظرت الأم إلى الفراش لتصاب بالهلع من جديد ..

كانت (فاتن) مستيقظة مفتوحة العينين ، وقد جذبت الملاءة إلى ما أسفل عينيها بالضبط .. وقالت همسًا :

ـ « هل رأيت ؟ هل تصدقين الآن ؟ »

ويظهر الأب كعادة الآباء .. جسمًا عملاقًا فى منامة من الكستور المخطط بالطول ، وشعرًا منفوشًا ووجهًا معكر المزاج .. جبلاً من المسئولية والحماية .. والغيظ !

ـ « هل جننت حتى تصرخى بهذا الشكل ؟ »

تكلمت الأنثيان فى آن واحد :

ـ « المقعد يتحرك من دون أن يلمسه أحد ! »

هرش الأب رأسه مرتين ثم أعاد السؤال فى تؤدة :

ـ « المقعد ماذا ؟ »

ـ « يتحرك ! »

كان يعرف أن زوجته هستيرية لكن ليس إلى هذا الحد ، أضف لهذا أن (فاتن) كانت ثابتة الجنان إلى حد مخيف .. إلى درجة أنها كانت تذكره بأمه هو شخصيًا ..

هكذا طلب من الأم أن تتلو بعض آيات القرآن ، وأن تبقى الضوء طيلة الليل .. وقدر أن هذا لم يحدث على الأرجح ، وإن حدث فلن يتكرر ..

لكن الأمر تكرر فى الليالى التالية ، واضطر الأب إلى تغيير غرفة الأطفال .. كلا لم تكن حالته المادية تسمح بترك البيت

طبعًا .. على أن الأشياء المتحركة اقتفت أثر الطفلين إلى الغرفة الجديدة التى كانت مخصصة لاستقبال الضيوف .. ويبدو أنه جلب أكثر من شيخ تكلموا عن جنى يكمن فى الغرفة ويريد النيل من الأطفال .. لابد أن الكثير من النمل الأحمر والهداهد اليتيمة قد لقت حتفها من أجل هذا ، ولابد أن أكثر من حجاب كتب بدم الغزال قد استعمل .. طبعًا بدون نتائج ثورية ..

على كل حال انتهت المشكلة خلال عام .. ونسيها الجميع ..

* * *

لم أدخل طرفًا فى القصة إلا فى يوم 12 إبريل ..

كان هذا عيد ميلاد (عاطف) .. إن بلوغ الطفل تسعة أعوام لحدث بالغ الأهمية حقًا ، وكما تقول أغنية الأطفال الأجنبية : « أنا لست حتى فى الرابعة .. بل إننى أكبر من أربعة أعوام ونصف .. أنا فى الخامسة من عمرى ! » هكذا كان (عاطف) يشعر بفخر بالغ باعتباره أول من حقق هذا الإنجاز فى التاريخ ..

كان أبوه واضحًا فى أنه لن يسمح إلا لرفاقه فى الصف بالحضور ، لكنه أصر على أن يحضر الأولاد الأكبر (عماد)

و(مدحت) و(رفعت) و(ممدوح) .. إنه يذهب معهم إلى المدرسة يوميًا ويحبهم .. دعك من فخر الأطفال بأنهم يعرفون من هو أكبر سنًا ..

هكذا صارت تعليمات الأب أكثر وضوحًا .. (فاتن) لن تشارك فى الحفل .. لو اقتصر الأمر على زملاء (عاطف) الأطفال فلا مشكلة .. كان يخاف الفتيان خاصة المراهقين منهم .. هؤلاء الأوغاد بشواربهم غير النامية والحبوب فى وجوههم وأصواتهم الشهوانية الخشنة .. إنهم شياطين يدارون ذيولهم فى سراويلهم ، ولو أغمضت عينك لحظة لسبل أحدهم عينيه وتظاهر بأنه يحب (فاتن) ، وعندها يمتلئ درج الفتاة بالمراسلات العاطفية وترسب فى الدراسة ثم تنحرف وتعاقر الخمر .. كان من الآباء الذين يعتبرون الابنة خطرًا داهمًا إلى أن تتزوج ..

هكذا تم ترتيب الحفل .. سيكون حفلاً للذكور فقط ..

وبدأنا الوصول .. لم أكن من الطبقة التى تقيم أعياد ميلاد ، ولم أكن قد حضرت الكثير منها ، وقد أعطانى خالى بعض المال لأبتاع كرة صغيرة لـ (عاطف) حتى لا أدخل خالى الوفاض وسط أولاده .. كنت فقيرًا كالفقر نفسه لكنى - أشهد - لم أشعر بذلك بشكل جدى قط بسبب خالى ..

(عبير) انسحبت إلى الداخل لتلقى (فاتن) و(إلهام) والأم ..

وتبادلت نظرة مع (ممدوح) .. نحن نفهم بعضنا .. كلانا يوجد جزء من قلبه بالداخل .. (إلهام) بالنسبة لى و(فاتن) بالنسبة له ..

وجاء وقت إشعال الشموع .. تسع شموع تنتظر أن نشعلها .. جاء والد (عاطف) بعلبة ثقاب .. ثم أشعل عودًا و...

أمام عيوننا المذهولة راحت الشعلة تنتقل من الشمعة الأولى .. إلى الثانية .. فالثالثة ...

لم نقل شيئًا ...

لم يستطع أحدنا أن يفتح فمه ...

المشهد يفوق أية قدرة على الكلام ...

لو شئت أن أقرب لك المشهد فتخيل رجلاً خفيًا يمسك بعود ثقاب خفى ويشعل به شمعة تلو الأخرى ...

وحين اشتعلت الشموع التسع شهق الجميع فى رعب ...

- « بسم الله الرحمن الرحيم !! »

- « هذا سحر !! »

هنا قال الأب بلهجة عملية، عرفت فيما بعد أنها الطريقة التى قرر بها أن يتحاشى الذعر وإفساد الحفل وربما الفضيحة كذلك :

- « هذه لعبة سحرية .. أنا وحدى أعرف سرها ! ربما أعلمها لكم فيما بعد .. والآن هلا نفخت الشموع وأنهيت هذا السخف يا (عاطف) ؟ »

وبدا فى عبارته الأخيرة نفاد صبر يوشك على أن يستحيل صراخًا ...

ونفخ (عاطف) الشموع فى حماس فساد الظلام .. هنا أضيئت الأنوار .. كل هذا جميل ..

لكن من فعلها بينما نحن جميعًا هنا والنسوة فى غرفة أخرى ليس فيها مفتاح النور ؟

* * *

4

الشارع ده أوله بساتين ..

وآخره حيطة سد ..

ليا فيه قصة غرام ..

ما حكيتش عنها لأى حد ..

من طرف واحد وكنت سعيد أوى ..

بس حراس الشوارع حطوا للحدوتة حد ...

★ ★ ★

يكبر الجميع ..

الشوارع تضيق وتكف عن الترحيب بنا لأننا صرنا أضخم مما تتسع له ..

(رفعت) النحيل المرتبك ذو العوينات صار (رفعت) النحيل العصبى ذا العوينات .. البنات تزوجن .. الأولاد كبروا وتزوجوا .. (فاتن) تزوجت (ممدوح) .. هذه من قصص الحب القليلة التى تنتهى بالزواج ، وهى قصة حب دامت أعوامًا طويلة .. إن بيتهما عند الناصية التالية بالمناسبة ..

أنا لم أتزوج (إلهام) طبعًا .. انتقلت للقاهرة ودرست الطب ثم سافرت إلى إنجلترا ، ثم عرفت الحب الأخير فى حياتى .. ولم أتزوجه أيضًا ...

(عاطف) ما زال يعيش مع الأسرة ، وكان حتى وقت قريب طالبًا فى كلية الحقوق ..

هل أحب (عاطف) (عبير) ابنة خالى ؟ لا يا أخى .. إن لك استنتاجات غريبة ! نحن نتحدث عن بشر لا عن قطع دومينو يتم رصها بإتقان .. هذه تناسب هذا وهذا يلائم هذه .. طبعًا لم يحدث هذا وأكون شاكرًا لو كففت عن الاستنتاجات العبقرية ..

(عاطف) شاب مرح ملىء بالحياة .. (عاطف) يذهب مع رفاقه إلى الإسكندرية .. (عاطف) يتوغل فى البحر بعوامة .. (عاطف) لم يعد لدى حلول الليل ...

كشافات .. نداء .. رجال يصرخون على الشط .. (عاطف) كانت معه عوامة لكن الموج جرفها بعيدًا فلم يصل إليها ..

سرادق عزاء .. قرآن يتلى .. ندبة لن تنسى فى قلب أم وأب فقدا صغيرهما .. سأوفر عليك هذه المشاهد القاسية .. أنت تعرف ما حدث وما قيل ..

عرفت هذا فيما بعد ..

لم أكن فى مصر وقتها ، ولم يهتم أحد بإبلاغى لدى عودتى .. هذه من اللحظات التى تشعر فيها بأن المسافة بين القاهرة والمنصورة أبعد من المسافة بين سيبيريا وألاسكا ..

ثم كنت فى المنصورة وعرفت بالخبر .. لم تكن علاقتى بالأسرة حميمة إلى هذا الحد ؛ لذا تطوع (عماد) ابن خالى بأن يصحبنى إلى هناك .. لا أذكر طبعًا عمرى وقتها لكنى كنت فى سن النضج .. لم يكن ذلك الشيخ المخيف الذى يكلمكم الآن قد وجد بعد ..

اجتزنا من جديد الشوارع التى كانت عالمى الحقيقى يومًا ما ، والتى أحفظ كل حجر فيها وكل علامة طبشور على جدرانها .. من قال إن هذا الشارع جماد ؟ إنه أكثر حياة منى أنا .. هذه الناصية التى كنا نقف عندها بانتظار التجمع للمدرسة .. هذه الناصية كنت أبتاع شطائر الطعمية منها .. هذا البائع العجوز ما زال حيًا ؟ لم يكن يبصق بهذه الكثرة فى تلك الأيام وإلا لما أدمنت شطائره ..

لكن ما لم أستطع فهمه هو : لماذا كانت هذه الأماكن متسعة فى الماضى ثم ضاقت ؟

★ ★ ★

الشارع ده كنا ساكنين فيه زمان ..

كل يوم يضيق زيادة عن ما كان ..

أصبح الآن بعد ما كبرنا عليه ..

زى بطن الأم ما لناش فيه مكان ..

★ ★ ★

كانت جلسة متحفظة طبعًا لم يتم ذكر حرف فيها عن الفقيد ..

لكنه كان مخيمًا على المكان ، وكان الموقف مفهومًا .. عزاء بلا عزاء .. وعلى سبيل التسرية بدأ الكلام عن (فاتن) وزوجها الذى كان صديقى ..

فى النهاية قال لى الأب :

- « (فاتن) ليست على ما يرام .. لا أعرف إن كنت أثقل عليك يا دكتور لكن أرى أن تمر عليها .. إنها تعيش عند الناصية التالية .. كان هذا البيت ملك أهل (ممدوح) وقد حجزوا له شقة فيه .. مر عليها واعتبر أن هذه ضمن تباريك الزواج .. فأنت لم تزرهما فى بيتهما قط .. »

كنت أشعر بغيظ لأن ظروفى لا تسمح .. أريد العودة مبكرًا

إلى القاهرة ولا أطيق سماع حرف عن الإسهال الذى يحدث بعد التهام الجوافة ، لكنه لا يحدث بعد التهام التين الشوكى ..

لم أستطع التنصل وقد عرض (عماد) فى كرم أن يرافقنى إلى هناك ..

هكذا أنهيت الجلسة وأعتقد أننى لو رأيت نفسى فى المرآة لرأيت سحابة دخان أسود تخرج من رأسى كما القصص المصورة ..

بعد خمس دقائق كنا نقرع باب (فاتن) ....

كان (ممدوح) قد تلقى مكالمة من الأب على ما يبدو يخبره بقدومنا .. وقد خرج لنا وعانقنى بحرارة لا أعتقد أن علاقتنا كانت تسمح بها .. ثم دعانا إلى الداخل ..

شقة ضيقة حارة .. إن عش الحب يبدو غريبًا بعض الشىء هذه الأيام .. وأدركت أن هناك الكثير من البونبون اللزج الذى يلتصق بأسنانك فتعجز عن فتح فمك .. ومياه غازية ساخنة و.. و....

لم يخيب الرجل ظنى .. كل شىء كان كما توقعته وألعن ، ثم ظهرت سيدة الدار لترحب بنا .. إنها (فاتن) التى فتنت (ممدوح) منذ كان طفلاً .. لم تتحول إلى فيل آدمى مثل

(إلهام) .. أعتقد أنها ما زالت تحتفظ ببعض الجمال ، لكنها مسيطرة بشكل كاسح .. قليل من الرجال يمكن أن يتزوج (الفوهرر) ذاته لكن (ممدوح) فعل .. وطبعًا كانت تلبس الأسود لكن لفظة (موت) لم ترد فى المحادثة ...

- « يؤسفنى أن أبى أصر على أن يتعبك .. »

- « نعم .. »

قلتها بلباقتى المعهودة .. وهنا قال الزوج وهو يأخذ (عماد) إلى الداخل :

- « سوف آخذ (عماد) معى لتتمكن هى من الكلام بحرية .. خذ راحتك .. إنها أختك .. »

أختى ؟ لو كانت هذه أختى لكنت فى القبر منذ سنوات .. لكننى كنت أمارس دور (جعلوه فانجعل) الشهير ، أو كأننى الكاهن (سطيح بن ربيعة) الذى حكت عنه أساطير العرب .. لم يكن فى جسمه عظام فكانوا يطوونه كما الثوب ، ويحملونه من موضع لآخر .. ليست هذه أسطورة إلى هذا الحد ..

قلت لها :

- « بخصوص الإسهال الذى يحدث بعد التهام الجوافة ، لكنه لا يحدث بعد التهام التين الشوكى .. كنت أقول ... »

ـ « عفوًا .. عم تتكلم ؟ »

ـ « لا شىء .. نوع من الكلام مع نفسى .. »

جلست واضعة ساقًا على ساق وقالت شاردة :

ـ « ليست شكواى طبية .. الموضوع يا دكتور (رفعت) أنك تفهم هذه الأمور .. »

ـ « أية أمور ؟ »

ـ « تلك الأمور .. الأشياء التى تتحرك وما إلى هذا .. (عماد) و (عبير) يحكيان عنك .. »

آه .. فهمت .. لم أكن صائد الأساطير المعروف وقتها لكن بعض الناس سمعوا عنى .. ولا بد أنها سمعت ثرثرة (عماد) و (مدحت) بصددى ...

قالت دون أن تنظر لى :

ـ « القصة التى لا تعرفها يا دكتور هى أن (عاطف) رحمه الله كان يملك موهبة .. هل تذكر النار التى طارت من شمعة لأخرى يوم عيد ميلاده ؟ »

ـ « يصعب نسيان هذا .. والضوء الذى فتح من تلقاء نفسه .. »

ـ « كان هو المسئول عن هذا .. ولكن لا بد أن أحكى لك كل شىء .. »

★ ★ ★

هكذا حكت لى القصة كلها .. أنت سمعتها لهذا لن أعيد سردها عليك .. أرجو فقط أن تمنحنى بعض الوقت لأعرف ما تعرفه أنت .. هذه مشكلة دائمة .. الساعة الخامسة أنت لا تعرف القصة .. الساعة الخامسة والربع أنت تعرفها ولا تطيق أن يسمعها أحد أمامك لأنها صارت مملة !

فى النهاية قالت :

ـ « ما رأيك ؟ »

قلت لها :

ـ « أعتقد أنك تعرفين رأيى .. هذه موهبة (تليكينيزيس) لا شك فيها .. إلا أن البائس عاش ومات دون أن يعرف أنها كانت عنده .. كانت تحاول الخروج باستمرار .. الأشياء التى كانت تتحرك فى الغرفة أثناء نومه مع صوت الدق rappings .. هذا نوع من التحريك عن بعد يتم من دون إرادتنا .. ويعتقد الناس دومًا أنه من فعل أشباح (بولترجايشت) .. لكنى أرجح أنها موهبته وقد أعلنت عن نفسها .. لكنك حرصت على خنقها .. »

قالت وهى تنقل ساقًا بدل الأولى :

ـ « لقد بذلت كل جهدى كى أمنعه من إعلانها .. كانت تحدث بشكل غير إرادى وبلا ترتيب سابق منه .. بعد قصة العلب تلك تكرر الأمر مرتين فكنت أقنعه أنها مصادفة .. فى البداية كان هذا بدافع الغيرة ثم كبرت فصرت أمنعه حتى لا يصير شاذًا وسط الناس .. وفى كل مرة أجد له تفسيرًا علميًا .. أى تفسير ما عدا أنه يملك أية موهبة .. لقد خنقتها خنقًا وجعلته يشعر بأن من السخف أن يجرب .. »

هذا طبيعى .. لابد لهذه السيدة من رجل تقهره قهرًا .. سواء كان أخاها أو زوجها أو ابنها .. أو أنا لو طال الأمر ..

قلت لها :

ـ « حسن .. لكن ـ اسمحى لى بهذا ـ المشكلة انتهت الآن .. لماذا تتذكرين هذا ؟ »

أخذت شهيقًا عميقًا .. هى من الناس الذين ينظرون للسقف وتبيض عيونهم حتى يتنهدون ، وقالت :

ـ « منذ توفى وكل شىء يهتز من حولى .. كل شىء يتحرك .. أعتقد أنه قد عرف الحقيقة .. إنه يريد الانتقام منى ... »

ـ « هل تتحدثين عن أن شبح أخيك يطاردك ؟ »

قالت فى صخر :

ـ « سمه شبحًا .. جنيًا .. قوى خفية .. عفريتًا أزرق .. المهم أنه يطاردنى وأننى فى طريقى إلى الجنون .. »

* * *

5

قالت لى وهى تضع صينية عليها قدح قهوة :

ـ « لقد خرج (ممدوح) و(عماد) لشراء سجائر لكنهما عائدان حالاً .. »

لكنهما سيتأخران .. كنت أعرف أنهما سيتأخران .. الزوج يريد الفرار بعض الوقت من هذا الهراء ..

فى هذه اللحظة تحرك الكوب على حافة المنضدة ..

تحرك حركة ملليمترية .. يمكن لطريقة التصوير المسماة Time lapse أن تلتقط حركات كهذه .. لكنى رأيتها ورأتها هى كذلك فأشارت بلا كلام ..

بعد دقيقة صمت بدا واضحًا أن الكوب صار عند طرف المنضدة .. مدت يدها وأعادته لمكانه ..

قالت وعيناها متسعتان :

ـ « هل ترى ؟ هذه رسالة من العالم الآخر .. أمس تحرك مقعد الزينة .. منذ أسبوع أغلق باب الحمام .. كل شىء أعرفه يتحرك .. وقد بدأ هذا بعد وفاته .. »

كان الأمر محيرًا .. حقًا لا أعرف كيف أتصرف ولا بماذا أنصحها ..

ـ « ماما ! اللعبة فوق خزانة الثياب ! »

استدرت لأرى مصدر هذا الصوت .. ما دام صوت طفل فهو طفل ، وما دام يناديها (ماما) فهو ابنها .. إن استنتاجاتى عبقرية كما ترى ..

قالت له فى حزم :

ـ « تعال يا (منصور) سلم على عمك .. »

(منصور) ؟ اسم غريب لطفل .. ثم فطنت إلى الأمر فاستدرت أسألها :

ـ « هذا اسم أبيك .. »

هزت رأسها فى فخر .. مع امرأة مسيطرة كهذه لا بد أن يحمل الطفل الأول اسم أبيها لا اسم أبى زوجها ، حتى إن كان الاسم كبيرًا .. يخيل إلى أن أى (منصور) قابلته لم يكن طفلاً فى صغره ..

كان الصبى جميلاً نظيفًا وإن بدا بعض القمع فى عينيه .. عينيه اللتين فيهما ذكاء لا شك فيه ..

صافحنى فى شجاعة وبساطة فسألته ملاطفًا :

- « من وضع اللعبة فوق خزانتك ؟ »

ابتسم بمعنى أنه لا يعرف ...

فقالت لى (فاتن) فى عصبية :

- « هذه الحوادث صارت معتادة .. أشياء ناقصة تجدها فى آخر موضع يخطر لك .. إن (منصور) مولع بالمقالب لكنه لا يقدر على وضع لعبة هناك .. »

انعقدت صداقة سريعة بينى وبين الطفل ، وهو شىء عجيب .. بل إنه جذبنى من يدى ليرينى حجرته فنهضت معه بينما بخار الغيظ الأسود يخرج من أمه .. ألقيت على الغرفة الصغيرة نظرة سريعة مجاملة ثم عدت لمكانى الذى ينبغى لى فى الصالون ..

احتضنت الطفل فى حرارة .. وقلت لها :

- « سأخرج معه بعض الوقت .. سأبتاع له شيئًا من الشارع .. »

بدا عليها الشك .. لا يبدو أننى من الطراز اللطيف مع الأطفال وهى حقيقة .. أنت تعرف تلك العداوة المزمنة بينى وبينهم .. لكنى كنت بحاجة إلى الانفراد بالطفل بعض الوقت ..

قالت فى جفاء :

- « ليكن .. لا تضايق عمو يا (منصور) .. »

وهى عبارة تسهل ترجمتها إلى : لو حدث لابنى خدش لانتزعت عينيك من محجريهما !

هكذا أخذت الصبى اللطيف وغادرنا البيت ..

★ ★ ★

محملاً بالشيكولاته والبسكويت فى عصر ما قبل اختراع تلك الأكياس المليئة بأشياء مخيفة والتى يحملها كل الأطفال طيلة الوقت ، هرع (منصور) ليرى أمه ما ابتعته له ..

قلت لها باسمًا متظاهرًا باللطف :

- « إنه نفس البقال العجوز الذى يضع زيرًا كبيرًا جوار المحلّ .. ماذا كان اسمه ؟ »

- « (حسبو) .. »

- « كل البقالين اسمهم (حسبو) على ما أظن .. لم أعرف أنه ما زال حيًا .. لقد كنا نبتاع منه (العسلية) أثناء عودتنا من المدرسة .. لا تتصورى كم سررت لرؤيته .. »

انصرف (منصور) بكنزه الصغير بعدما تبادل معى نظرة ذات معنى .. فغمزت له بعينى ..

قلت لها :

ـ « كنت أقول لك إن موضوع عودة الشبح هذه لا يروق لى .. ما النفع الذى يجنيه من العودة ؟ »

ـ « يريد أن يصيبنى بالجنون .. وهو ما صرت على استعداد تام لفهمه .. »

فجأة دوت الصرخة المذعورة ......

ماماااااااااااااااا !!

هرعت وهرعت وراءها إلى مصدر الصوت ..

كنت أعرف أنه الصبى .. وكنت أعرف أن هذه حجرته لأننى رأيتها منذ دقائق ..

وعلى باب الحجرة رأينا المشهد المخيف ..

كان الصبى يقف على الفراش وهو يمسك بقابس كهربى يضعه فى الثقب .. يبدو أنه كان يريد إضاءة مصباح هناك لكن من الواضح أن الأمور ليست على ما يرام لأنه يصرخ وينتفض وعيناه تنظران للسقف .. لكنه برغم هذا لا يتخلى عن القابس ...

صحت فى هلع :

ـ « صدمة كهربية ! لابد أن السلك عار ! »

ركضت فى حركة غريزية لتنتزعه من مكانه لكنى جذبتها للوراء بعنف وصحت :

ـ « لا تلمسيه وإلا أصابتك الصدمة معه .. أريد ملاءة أو عصا خشبية كى ...... »

حاولت التملص منى لكننى منعتها .. فى هذه اللحظات يتوقف تفكيرك تمامًا .. أين تجد عصا خشبية هنا ؟ هناك ملاءة على الفراش لكن الذعر يمنعك من أن تراها ...

ـ « اتركنى ! إنه سيـ .... »

ـ « لا ! »

وهنا رأيت المشهد الذى انتظرته ..

لقد طار القابس من يد الصبى ثم هوى على الأرض ..

وانتزعت معصمها من قبضتى ووثبت إلى الفراش ..

وفى اللحظة التالية كان الصبى بين ذراعى أمه التى راحت تبكى وتلثمه ..

- « هل .. أنت بخير ؟ لم لا تفحصه يا دكتور ؟ »

هنا فوجئت المرأة بأن الصبى يضحك .. يضحك .. وأشار لى وهتف :

- « لقد صدقت الخدعة يا عمو (رفعت) ! ما رأيك فى تمثيلى ؟! »

* * *

قبل أن يفتك الخف البلاستيكى الأحمر بالصبى ثم يأتى دورى طلبت منها أن تمهلنى خمس دقائق أشرح فيها كل شىء .. هكذا كان (الحجاج بن يوسف الثقفى) يصغى لضحاياه قبل أن يقطع رقابهم ..

- « القصة تقول إن أخاك كان يركب عوامة وإن الموج جرفها فلم يستطع استعادتها .. ألا تبدو هذه طريقة غريبة نوعًا لموت شخص يملك قدرة التحريك عن بعد ؟ »

قالت وهى تلقى بالخف على الأرض لتدس رجلها فيه :

- « بلى .. غريب .. كان بوسعه أن يجذب العوامة له .. لكن ما دخل هذا بـ ؟ »

قلت وأنا أتنفس الصعداء :

- « كل حوادث التحريك عن بعد التى رأيتها مع أخيك تتضمن عاملاً مشتركًا واحدًا : أنت ! هذا طبيعى لأنك تحكينها .. لكن أحدًا سواك لم يحك عن أخيك قصصًا مماثلة .. »

- « لقد حرصت على إقناعه بأن يلتزم الصمت .. »

- « هنا خطر ببالى أن أعقد امتحانًا صغيرًا لك .. لقد رأيت ذلك القابس فى غرفة (منصور) .. خرجت معه وقلت له إننا سنعد مقلبًا صغيرًا لأمه .. سنقنعها بأنه تلقى صدمة كهربية .. وقد راق له هذا لأن الأطفال يحبون إثارة فزع الكبار .. هذا معروف .. شرحت له ما سيفعله وكيف يمثل دوره .. وحين عدنا للدار لم يكن (ممدوح) و(عماد) هنا لحسن الحظ .. هكذا صار الأمر على عاتقك .. أن تنزعى القابس من يده دون أن تلمسيه وهذا أمر يبدو مستحيلاً .. لكنه حدث .... »

ونظرت إلى الصبى الذى وقف شاحب الوجه يرتجف .. إن عقاب أمه قادم ولا ريب بعد هذه المحادثة المتحضرة .. وسألته :

- « هل ألقيت بالقابس من يدك يا (منصور) ؟ »

قال فى حيرة :

- « لا يا عمو .. كأن هناك من انتزعه من يدى ! »

قلت لها وهى تنظر لى فى ترقب :

ـ « الأمر واضح .. بالفعل كان هناك فى أسرتك من يملك قوة التحريك عن بعد .. لكنه لم يكن (عاطف) .. كان أنت ! المشكلة أنك لم تعرفى هذا قط .. فوق السطح قمت بتحريك العلبة دون أن تعرفى أنه أنت .. فى عيد الميلاد كنت تراقبين إطفاء الشموع من وراء الستار مع بقية النساء ثم لا شعوريًا حركت اللهب .. كنت تمضين الليل ساهرة خائفة من المقاعد التى تتحرك غير عالمة أنك من يفعل هذا .. واليوم قررت عقاب نفسك فراحت موهبتك تعلن عن نفسها بشكل مروع .. هكذا قررت أنا وقد شككت فى الأمر كله أن أضعك أمام الاختبار الأقصى .. لو لم تتحرك موهبتك فابنك ميت لا محالة .. وحدث ما توقعته .. لقد انتزعت القابس من يد ابنك بالقوى العقلية وحدها ولا شىء سواها .. »

هتفت وهى تمسد على شعرها :

ـ « ولماذا لا يكون خاله هو الذى أنقذه ؟ »

ـ « لم نسمع عن أشباح تنقذ الأحياء من قبل .. وهو لم يستطع إنقاذ نفسه لحظة الموت فكيف ينقذ سواه ؟ ثم لماذا ينقذه إذا كان غرضه هو الانتقام ؟ إن القصة واضحة تمامًا .. وأعتقد أن الظواهر المحيطة بك ستهدأ قليلاً أو تزول ، بعدما عرفت أنك لم تسلبى (عاطف) حقًا كان له .. (عاطف)

كان شخصًا عاديًا تمامًا .. أما أنت فعليك أن تتعلمى الحياة مع هذه الموهبة التى أعتقد أنها نعمة .. »

ـ « وماذا كنت ستفعل لو خاب ظنك ولم يحدث شىء ؟ »

ـ « لا أعرف .. كان موقفى سيبدو غاية فى السوء ولربما انشقت الأرض وابتلعتنى .. لكنك بالتأكيد تفضلين هذا على أن يهلك ابنك بصدمة كهربية حقيقية .. »

قالت وهى تجمع الأكواب فى صينية :

ـ « هل أطلب منك خدمة ؟ »

ـ « نعم .. »

ـ « لا تخبر (ممدوح) بحرف من هذا .. لا أريد أن ينظر لى باعتبارى طفرة أو ظاهرة خوارقية ! »

استرخيت فى المقعد وقلت فى تحد :

ـ « أعدك لو وعدتنى بألا تعاقبى هذا الصبى الذكى بسببى ! »

★ ★ ★

الشوارع حواديت ..

حوداية الحب فيها ..

وحوداية عفاريت ..

(واسمعى يا حلوة لما أضحكك) ..

★ ★ ★

كانت هذه هى القصة الثالثة لى مع المحركين .. كما رأينا هنا امرأة فى العقد الثالث من العمر ولا تعرف أنها تملك موهبة التحريك عن بعد .. هذه القصة تحدث كثيرًا جدًّا بالمناسبة ...

هذا وجه آخر من الظاهرة .. الظاهرة التى يقال إنها عندنا جميعًا لكننا لا نعرف .. بعضنا أقدر من سواه على استخراجها .. لكنى متأكد من شىء واحد : لو كان هناك شخص فى العالم لا يملكها فهو أنا ...

الآن أحكى لكم القصة الرابعة وأرجو أن تروق لكم .. ستجدون أنه لا دور لى فيها لكن صديقًا أمريكيًا حكاها لى ...

الوجه الرابع

لك ياسيدتى !

حلقة جديدة من برنامج (لك يا سيدتى) أقدمها أنا (رفعت إسماعيل) الذى لا يتمتع بجمال الطلعة ولا الصوت الساحر ولا اللباقة .. لا يتمتع بشىء فى الواقع لكن دعينا نتناس هذا كى تستمر الحياة ..

اليوم نقدم لك يا سيدتى طريقتنا المثالية لتتعلمى تحريك الأشياء عن بعد .. كما قلنا فإن التحريك عن بعد جزء مهم من (التحريك النفسى) الذى يتضمن عدة أقسام منها الطفو والتواجد فى مكانين والتجسد والعلاج الروحى ..

طريقة سهلة هى ويمكن أن تجربيها فى البيت ، لكننا لا ننصح بأن تعلميها للأطفال لأنهم كائنات غير مسئولة .. لا أحب أن أرى ما سيحدث لو جرب الصبى أن يرفع السكين ليغمدها فى صدر أخته على سبيل اللهو ، أو أن يبعثر مجوهراتك ـ لو كنت ممن يملكن هذه الأشياء ـ من الشرفة ..

والآن أرجو أن تكتبى المقادير التى تحتاج إليها ..

1 ـ حبل .

2 ـ كوب .. أى كوب يصلح لكن ليكن غير قابل للكسر .

3 ـ حلقة خشبية .

4 ـ مقعد .

5 ـ قطعة حجر .

6 ـ شمعة .

7 ـ بوصلة .

★ ★ ★

لنفترض لمجرد الفرض أنك يا سيدتى معلمة أمريكية تدعى (إيما ثورنوايلد) ، وأنك تعيشين فى ولاية (أوهايو) .. لنفترض أنك حسناء فى الثلاثين من العمر وأنك على وشك الزواج من ذلك المحاسب الوسيم الذى يدعى (آلان ريكمان) ...

الحياة باسمة .. كل شىء جميل .. إنهم يحبونك هنا ربما باستثناء الطلبة .. هناك طالبان يحباتك جدًا لكن هذا لأنك جميلة وليس لأن ما تشرحينه جميل .. من قصص حب المراهقة الشهيرة ذلك الحب الحتمى نحو المدرسة أو المدرس ، وهو حب صحى لو أمكن استغلاله كطاقة بناءة تزيد التحصيل ..

لنفترض أن عندك سيارة صغيرة .. ولنفترض أنك تذهبين للتسوق فى المدينة المجاورة .. لنفترض أنك لا تجيدين القيادة جدًا ...

الطريق خال تمامًا .. هكذا طرقكم الريفية حيث يمضى المرء ساعة قبل أن يواجه كائنًا بشريًا ..

صوت موسيقا الروك ينبعث من جهاز الراديو .. أنت تحبين القيادة على موسيقا الروك .. إن هذا يضفى لمعالم الطريق تأثيرًا سينمائيًا كأنها تترات فيلم مثير ...

ثم قال الرجل فى مؤخرة القاعة : فليهجم الجميع ..

وانقلب المكان إلى قاعة رقص محمومة ...

منحنى ومنحنى آخر ..

الحياة باسمة يا (إيما) .. زواج وأطفال .. بيت مشمس وكلب أشعث .. باختصار كل ما يمثل حياة رائعة لشخص أمريكى ..

منحنى ومنحنى آخر ..

والفتاة فى الركن قالت لى : أريد أن أحذرك يا صبى ..

هذا المكان سيتحول إلى قاعة رقص محمومة ..

الحياة باسمة .. تعرفين هذا .. تدركينه ...

وفجأة تم كل شىء بسرعة غادرة ...

السيارة فى المواجهة .. البوق .. كلاكما كان مندفعًا كالسهم ..

دست على الفرملة فتحولت السيارة إلى طبق طائر ، ودارت يدك بالمقود تحاولين الابتعاد عن الهول القادم .. ثم لم يعد هناك شىء ...

كل شىء يجرى بالسرعة البطيئة ..

أنت تتدحرجين إلى جانب الطريق ويبدو أن الباب قد انفتح .. لم يكن حزام الأمان مربوطًا .. من يريد حزام أمان والحياة باسمة أصلاً ؟

منحدر .. الصبار يخمش وجهك كمخالب ألف قط .. لكن لا ألم هنالك ...

تتدحرجين .. تتدحرجين ...

قاعة رقص محمومة ..

قاعة رقص محمومة ..

وفى النهاية أنت فى أسفل المنحدر تتساءلين .. هل هذا هو الموت ؟

لم يكن صعبًا .. لا يستحق كل ما كتب عنه فى الأدب والشعر .. كنت تخافين الامتحان النهائى فى المدرسة الثانوية ، ثم فوجئت بأنه أبسط مما ظننت .. لم يكن الأمر

يستأهل كل هذا الهلع .. من المبالغة أن تقول إنك شعرت بالخديعة لكن هذا ما حدث فعلاً .. كان يجب أن تتأملى .. كان يجب أن تعانى ...

فى النهاية تفتحين عينك لترى السماء .. إنها ذات السماء التى كنت ترينها من نافذة السيارة ..

أنا لم أمت ..

لكنك فى وضع منبطح .. وجهك وسط الأعشاب ولا تستطيعين الحركة .. لا تستطيعين عمل أى شىء .. رائحة العشب فى (مايو) .. لكن هل هذا مايو فعلاً ؟

ثم صوت ...

صوت خطوات يقترب ...

تسمعينها فوق العشب ...

الآن ترين حذاء برتقاليًا يقف جوار رأسك لكنك لا تقدرين على الالتفات أو إصدار صوت .. ثمة صوت لا تعرفينه (أو هكذا يجعلك الطنين فى أذنيك تحسبين) يقول :

ـ « لقد ماتت ! »

ـ « نعم .. يا للكارثة ! »

الآخر فتاة على الأرجح ..

ـ « كانت مسرعة مثلنا .. »

ـ « لكن الموتى على حق دائمًا .. سوف ندخل السجن .. »

هنا ساد الصمت .. واضح أنهما يفكران ..

قال صوت الفتاة :

ـ « اسمع .. لم يرنا أحد والسيارة سليمة .. فلنفر الآن قبل أن نندم لأننا لم نفعل .. »

ـ « لكن .. هل نتركها هكذا ؟ »

ـ « لو لم يكن عندك مانع .. هذا وإلا السجن .. »

ساد الصمت برهة .. ثم سمعت صوت الخطوات يبتعد ..

لا .. عودوا من فضلكما .. لا تتركانى هنا .. أنا حية .. لن أشكوكما .. أنا خائفة .. أنا واهنة .. عودا من فضلكما ..

ثم تسمعين صوت السيارة يبتعد ....

عندها تدفنين رأسك فى العشب وتبكين ...

* * *

الآن أنت تعرفين أبعاد المشكلة يا سيدتى ..

لم أنته بعد .. لنفترض الآن أنك ظللت فى هذا الوضع بضع ساعات ثم سمعت من ينادى .. ورأيت الحذاءين الرسميين لرجل شرطة .. أحدهم يمد يده إليك فيقول الآخر :

ـ « دعها ! انتظر الإسعاف .. هذا كسر فى العمود الفقرى بالتأكيد ! »

كسر عمود فقرى ؟ من قال هذا ؟

كسر عمود فقرى ؟ هذا لن يحدث لك بالذات ...

ثم تسمعين يا سيدتى عربة الإسعاف ، والرجال يهبطون المنحدر بصعوبة .. المحفة .. يضعونك عليها بطريقة فنية مع وضع دعامة بلاستيكية للعنق .. والسيارة تندفع عبر الطرقات بينما ممرضة تضع يدها على جبينك وتهمس :

ـ « تماسكى .. أنت بخير .. »

ثم المستشفى .. تغيبين عن الوعى ثم تعودين إليه .. فقط ترين شكل ضبابى أنك ترقدين على سرير وأن جهاز الأشعة يهبط من أعلى نحوك .. حجرة جراحة وقناع يثبت على وجهك .. غرفة معتمة الإضاءة ..

قلت لنفسك :

ـ « هذا هراء .. سوف أتحرك ! »

لكن الخطوط مقطوعة تمامًا .. لا يوجد أى اتصال كهربى بأية عضلة من عضلاتك .. تصدرين الأوامر ليدك .. لقدمك .. لكن لا استجابة .....

تقولين لنفسك يا سيدتى إن هذا كابوس وسوف يزول فى الصباح ..

لكنه لا يزول ..

وجه أبيك الملتاع ووجه أمك المذعور .. ثم يصل (آل) العزيز ..

عيناه دامعتان .. ثم تغيب الرؤى .. أنت لم تعودى هنا ....

لنفترض كذلك يا سيدتى أن رجال الشرطة سألوك كثيرًا عمن دهم سيارتك .. أنت لم ترى شيئًا .. لا تستطيعين تذكر شىء .. كان هناك فتى وفتاة .. رجل وامرأة .. رجل وفتاة .. فتى وامرأة .. لكن لا معلومات أخرى من أى نوع ...

لنفترض على سبيل المثال يا سيدتى أنك عرفت فى الأيام التالية الحقيقة : أنت مشلولة تمامًا تحت العنق .. هذا ما يطلقون

عليه (الشلل الرباعى) لكن جهازك التنفسى يعمل .. تتكلمين وتتنفسين وترين لكن فيما عدا هذا لا يوجد شىء ممكن .. هكذا أخبرك الأطباء بطريقتهم الباردة ...

لنفترض أنك عرفت المقعد المتحرك .. لا تستطيعين تحريكه بإصبع واحد على الأزرار .. لابد فى حياتك من الشخص الثانى .. تحتاجين إلى فترة طويلة حتى تقبلى الحقيقة ..

كل ما كنت لم يعد هنالك .. كل ما سيكون لم يعد هنالك ...

سوف تبكين كثيرًا يا صغيرة وأنت وحدك .. سوف ترفضين الحياة وتمتنعين عن الأكل طلبًا للموت .. ويغذونك بأنبوب (رايل) الداخل من الأنف لفترة ، ثم تغلبك غريزة الحياة فتأكلين ..

سوف تعيشين فى دار أبيك .. أما (آلان) فلن يعود أبدًا .. لقد زارك بعد الحادث فقلت له فى رفق وأنت على الفراش :

ـ « أنا أحلك من أى وعد .. هيا اذهب وعش حياتك .. »

يقول لك متظاهرًا بالمرح :

ـ « لن تتخلصى منى بهذه البساطة .. أنا لزج كذبابة .. »

وكانت هذه آخر مرة ترينه فيها .. وكنت تتوقعين أى شىء إلا هذا ..

ثم ظهر (مايك وارن) .. كان مصرًا على أن يتزوجك .. إنه مدرس فى ذات المدرسة ، وهو شاب مهذب حاول أن يتظاهر بالمرح هو الآخر ..

لكنك تعرفين يا سيدتى .. تعرفين أنه يتظاهر .. ثم إنك تقبلى عواطفه هذه .. ربما هو كريم الشعور يحبك حقًّا .. لكن من أدراك ؟ ربما هو يشفق عليك .. لقد قرأت رائعة (زفايج Zweig) الشهيرة (حذار من الشفقة) وتعرفين كيف يقرر الرجال أن يصبحوا فرسانًا ، ثم يندمون بعد هذا حين يعرفون الأبعاد الحقيقية لتضحيتهم .. الاحتمال الثالث ـ وهو الأقسى ـ أنه يريد أن يشعر بالتبل أمام ذاته .. وهو شعور طفولى سخيف ..

هكذا ترفضين بإصرار .. بإلحاح .. تقولين له إنك رأس امرأة لا أكثر ..

لكن الأحمق مصر كالذبابة فعلاً ...

أمك تقول إن هذا هو السبيل الوحيد لتجد الراحة فى قبرها .. تقولين لها إن أية ممرضة يمكن أن تمنحها هذه الراحة .. ممرضة بأجر تعيش معك أكثر الوقت .. لكن أمك تقول بحنكة :

ـ « ممرضة تحبك .. هذا هو العسير فى الأمر .. »

هكذا يتم الزواج ..

كلا .. لم يكن (مايك) وغدًا كما نتمنى أن يكون .. لقد كان زوجًا مخلصًا .. تعسًا ـ وهذا مفهوم ـ لكنه مخلص .. يعاونك فى ماذا ؟ فى كل شىء طبعًا فأنت لا تفعلين شيئًا .. لقد صار لك بيت جميل له حديقة وحمام سباحة صغير وكلب أشعث فماذا تريدين بعد هذا ؟

ثم تقررين أن تعودى إلى التدريس ..

يقول لك مدير المدرسة إن هذا مستحيل لكنك تصممين على التنفيذ .. ما دام لسانك يؤدى عمله فهذا كاف .. فقط تحتاجين إلى من يدفع المقعد ويكتب على لوح الكتابة .. هذا سهل ...

هل فهمت الآن يا سيدتى الوضع بدقة ؟

★ ★ ★

دعينا الآن ندخل الصف معك .. ونرى كيف تلقين محاضرتك عن شعر (كيتس) .. الطلبة يتابعون .. بعضهم تبدو عليه الشفقة والبعض مندهش والبعض مستمتع بهذا ..

تقف (سارة) على لوحة الكتابة تدون ما تقولين .. بينما أنت تواجهين الطلبة .. هناك (ميريام) و(أجنس) و(فيليب) و(جيمى) و.....

تقولين للطلبة :

ـ « ما زلت بعد هذا الحادث محتفظة برأسى لم أفقده .. لهذا أتمنى ألا تنظروا لمقعدى وانظروا لرأسى .. »

نهضت فتاة مرتبكة ذات عوينات وقالت :

ـ « من فعل بك هذا يا مسز (وارن) ؟ قيل لنا إنه تركك تحتضرين على الأرض .. » (*)

قلت باسمة متظاهرة بأن هذا السؤال لا يضايقك :

ـ « لا أذكر .. هناك بقعة ممحية من ذاكرتى ، لكنى أستعيدها ببطء ولسوف أتذكر وجهيهما قريبًا جدًا .. والآن دعونا نعد لموضوعنا .. »

بعد انتهاء الدرس يحتشد الطلبة مغادرين القاعة ، وتدفعك (سارة) إلى الخارج .. هناك تقولين لها :

ـ « أريد كوبًا من الماء .. إن حلقى جاف .. »

(سارة) كما تعلمين طالبة رقيقة مهذبة لامعة .. لهذا لم تفكرى طويلاً عندما عرضت عليك أن تساعدك ، برغم أن هذا يقيد حريتها ولا يقدم لها جديدًا ...

(*) لاحظ أنها تزوجت .. لم يعد اسمها (تورتوايلد) بل هى تحمل لقب زوجها ..

تتركك (سارة) وتتجه إلى المبرد الموجود فى الردهة لتملأ كوبًا من الماء ..

الطلبة يتدافعون لأن مقعدك بالضبط عند قمة الدرج ... وهم يصدرون صخبًا كأن حياتهم تتوقف على ذلك .. وفجأة .....

ـ « (سارة) ! »

قلتها برعب مكتوم .. ثم :

ـ « (سارااااااااة) !! »

لأنك شعرت بالمقعد ينزلق ببطء ثم ينحدر فوق أولى درجات الدرج .. والآن يواصل الانحدار ...

لا يمكن التمسك بشىء .. لو كانت يداك تطيعان لتمسكتا بالترابزين .. بيد أى واحد من الفتية هناك .. لو كانت قدماك تستجيبان لحولتهما إلى فرملة .. لكن لا شىء من هذا .. قانون الجاذبية يعمل كما خلقه الله .. كل ما يترك ليهوى يسقط لأسفل ...

لحظة من الهلع ثم توقف الانحدار لأنك شعرت بيد قوية تمسك بالمقعد وتمسك بكتفك فى الآن ذاته .. ثم رفعت رأسك لترى (جيمى) بطل المدرسة فى كرة القدم .. كرة القدم التى

تصرون على تسميتها كذلك برغم أنه لا دخل للقدم فيها .. بالنسبة لنا نحن نعتبرها (رجبى Rugby) أو أى شىء آخر .. لهذا أبطال كرة القدم عندكم كالمصارعين عندنا ..

قال وهو يبتسم بثقة :

ـ « لابد من أن أحدهم دفعك عن غير عمد يا مسز (وارن) .. إنهم خنازير ها هنا .. »

كنت أنت تستجمعين أنفاسك .. كان الموت قريبًا جدًا .. السقوط من أعلى هذا الدرج معناه الموت بالنسبة لامرأة قعيدة .. لكن من يدرى ؟ ربما كان هذا أفضل لك ..

وتأتى (سارة) خائفة مذعورة وكوب الماء فى يدها ، وتصيح :

ـ « آسفة يا مسز (وارن) .. كان خطئى أن تركت المقعد فى هذا الموضع الخطير .. »

تشربين الماء وتقولين إنه لا بأس ....

لكنك كنت تفكرين ....

ما حدث لك لم يكن انزلاقًا .. لقد تم دفع المقعد مسافة لا بأس بها من الخلف .. بعيدًا عن مجال إبصارك .. أحدهم

تعمد أن يدفع المقعد من فوق الدرج متظاهرًا بأنه احتك به .. لكن المسافة كانت أطول من أن تبرريها بالخطأ ...

أحدهم يريد موتك فلماذا ؟

كانت الفكرة تجوب ذهنك فى الآونة الأخيرة بشدة ..

الأصوات التى سمعتها لحظة الحادث .. ربما كانت أصوات شابين مراهقين .. وقد خطرت لك فكرة مجنونة هى أن هذين الشابين من طلبتك ...

الآن بم شعر هذان وماذا قالا حين عرفا أنك سليمة ، ولم تقضى نحبك ؟

لقد قدرا أنك عرفت من هما ، ولابد أن خبر نجاتك كان أسوأ خبر سمعاه ....

ظلا ينتظران أن تتكلمى فلم يحدث .. إذن هناك ثلاثة احتمالات : إما إنك لم تتعرفيهما .. وإما أنك عرفت من هما لكنك مصابة بفقدان ذاكرة مؤقت (وهو يشفى دائمًا) .. وإما أنك تعدين للانتقام بشكل مدروس صبور ..

لابد أنهما قررا أن يتخذا الحل الأصوب .. لقد قتلاك مرة فلماذا لا يفعلان هذا ثانية ؟

طبعًا كانت هذه خواطرك الخاصة ، فلربما لم يحدث هذا قط .. لكن يقينًا كان قد تكونت لديك فكرة بأن ما حدث اليوم كان محاولة قتل ....

★ ★ ★

ـ « لا أذكر .. هناك بقعة ممحية من ذاكرتى ، لكنى أستعيدها ببطء ولسوف أتذكر وجهيهما قريبًا جدًّا .. والآن دعونا نعد لموضوعنا .. »

نصيحة : دققى فيما تقولين يا سيدتى ولا تستعملى الكلمات الخطأ .. لو كنت قاتلاً لقتلنى الرعب .....

★ ★ ★

الآن دعينا نصل إلى موضوع هذه الحلقة يا سيدتى .. لقد كانت لحظة سقوطك هى اللحظة التى جعلتك تدركين قبح العجز ، وهكذا قررت أنك لن تبقى ساكنة دون أن تغيرى واقعك .. كنت جالسة أمام التلفزيون تشاهدين ذلك البرنامج السخيف عن القدرات النفسية الخارقة ، وعرفت أن هناك قومًا قادرين على تغيير الأشياء بعقولهم ..

لنفرض أن مقدم الحلقة وهو من المهتمين بهذه الأمور يقول :

ـ « كل منا قادر على ذلك .. هناك تحت طبقة المدنية الرقيقة يوجد ذلك النصر الذاتى .. فقط لنخدش الصدأ فنجد ذلك المعدن البراق .. »

تطلبين من زوجك أن يساعدك على خدش تلك الطبقة الصدئة فيوافق .. وهذا يضايقك لأنه يوافق على كل ما تطلبين .. جزء مهم من إنسانيتنا أن تشعر بأننا قابلون للمعارضة .. هذا يمنحنا شعورًا بالنضج ..

لنفترض الآن أن زوجك ابتاع لك بعض الكتب ، وراح يقرؤها عليك وأنت جالسة على المقعد المتحرك .. « التحريك عن بعد .. » ـ يقول زوجك وهو يقرأ ـ « هو حشد موجات الطاقة النفسية بكثافة غير عادية إلى درجة أنها قادرة على إحداث تغيير فيزيائى .. ومعنى هذا أن درجة غير عادية من التركيز مطلوبة هنا ، وهذا يحتاج إلى سنوات من المران .. لكن لا تقل من البداية : لا أستطيع .. »

ـ « الحيلة هنا .. » ـ يقول زوجك ـ « هى ألا (تجعل) الأشياء تتحرك .. بل أن (تدعها) تتحرك .. لا تشك فى الأمر لأن الشك جدار يقف بينك وبين التحريك عن بعد .. يجب أن تتسلق الجدار لتعبر للجانب الآخر .. »

والآن أقدم لك يا سيدتى هذه التمرينات السهلة .. يمكنك تجربتها بنفسك فوق مقعدك المتحرك ولا تقلقى ما دام زوجك قريبًا ...

أعرف أنك لن تستطيعى توفير ظروف (جانتسفلد Ganzfeld) أى الغرفة المعزولة عن المرئيات وعن المؤثرات الصوتية الخارجية .. لكن بوسعك أن تطلبى عمل التجارب فى غرفة شبه مظلمة وأن يقف زوجك خلفك كى لا يشوش تركيزك ..

الطريقة (1) : تحريك اللهب :

سوف يحضر زوجك شمعة ويضعها أمامك .. عليك أن تنظرى لقاعدة اللهب حتى لا تريه وإنما تدخلين حالة من التأمل والانصهار .. ومن فضلك يا سيدتى لا تنظرى للهب نفسه .. لا أريد أن تحترق شبكيتك .. فكرى فى اللهب كطرف خامس لك يمكنك تحريكه كما تريدين .. راقبيه يستطيل وينكمش .. يهتز .. كررى هذا عشر دقائق ...

الطريقة (2) : التصور :

الآن فكرى يا سيدتى فى الأشياء كما تريدين لها أن تكون .. احلمى بطائر فى الحديقة .. فلتريه بوضوح .. احلمى بأن المذياع المعطل يعمل بكفاءة ... فإذا لم يحدث ما رأيته فاحلمى بأن السبب هو أن الأفضل واقع لا محالة ..

الطريقة (3) : بعد إجادة الطريقتين السابقتين :

الآن تخيلى يا سيدتى أنك تقبضين على كرة من الطاقة ، وأنك تدفعينها بعقلك لتدفع بالونًا على الأرض ..

الآن حان وقت التمرين الأهم :

ابدئى بشحن حواسك بالطاقة والتأمل .. خذى بضعة أنفاس وتصورى أنك تحتوين الكون كله فى صدرك .. فليضع زوجك أمامك حجرًا .. أغمضى عينيك وتصورى أن طاقتك تمتزج بهذا الحجر .. حركى الحجر باستعمال عقلك فقط ولا شىء سواه .. حركيه نحوك .. إلى اليمين .. للأمام .. للخلف .. ثم افتحى عينيك وكررى هذا وأنت ترين ما يحدث ..

جربى الأمر نفسه فى الوقت المناسب مع قدح ثم مع مقعد ..

الآن بعد فترة من التمرينات يمكن أن تجربى ثنى الأجسام ..

تأملى نصف ساعة يا سيدتى .. اجعلى زوجك يضع شوكة أو ملعقة بين أناملك المتراخية .. تنفسى بعمق .. فكرى فى شىء واحد صاف .. فكرة واحدة تجلب لك عشرات الأفكار البهيجة .. تصورى أن ذرات الشوكة تختلط بذرات يدك .. تصورى الشوكة تتحول إلى سائل .. لو كنت تشعرين لشعرت بسخونة فى الشوكة .. الآن اثنيها ! اثنيها بعقلك فقط ..

هل نجحت ؟ جميل .. جميل ......

اختبار البوصلة :

مزية البوصلة هى أن إبرتها حرة الحركة تخضع لطاقة من القطبين فماذا عن طاقة من عقلك ؟ ليضع زوجك البوصلة أمامك .. أغمضى عينيك وفكرى فى أن تحركيها .. لا تفكرى فى تحريكها بل اشعرى به .. لا تستعملى بوصلة ثمينة لأنها قد تتلف بعد هذا كلية ..

هكذا تجربين يا سيدتى ..

لسوف يدهشك كم وسرعة التقدم الذى تحرزينه .. ولسوف يقول زوجك إن هذا غريب .. تقول الكتب إن حالات نادرة تصل لهذه الخبرات فى أسبوعين ، بينما يقضى آخرون أعوامًا دون أن يصلوا لشىء .. لكنك تعرفين السبب .. كل ذرة فى جسدك تريد أن تحقق هذا .. لو كانت لديك هذه الطاقة فقد حان وقت خروجها .. الدولة التى يتم غزوها ولا تستعمل سلاحها السرى هى دولة لا تملك هذا السلاح ..

زوجك لم يكن يؤمن بهذه الأمور ، لكنه لا يجد ما يقال وهو يرى قرص الـ PSI يدور بقوة عقلك .. يرى اللهب يهتز ويرى البوصلة تتحرك ...

* * *

لنفترض الآن يا سيدتى أنك فى دارك وأنك تلاحظين الكثير من زيارات (سارة) لك .. (سارة) علاقتها بك هى المدرسة ، فلماذا تبذل هذا الاهتمام ؟

(سارة) لطيفة ودود لكن ألاترين معى أنها تلاحقك ؟ ربما أكثر من اللازم ؟

فعلاً لا تترك لك فرصة للانفراد ....

اليوم تأتى لك وأنت جالسة فى غرفة الجلوس ، وتحييك ثم تسألك عن زوجك ..

تقولين :

ـ « لا أعرف .. أعتقد أنه سيعود بعد برهة .. »

لا تعرفين لماذا يبدو عليها هذا الحماس ....

بعد قليل تسمعين من ينادى .. هذا الصوت مألوف .. تخرج (سارة) قليلاً ثم تعود ببطل كرة القدم (جيمى) الذى أنقذ عنقك من التهشم على الدرج .. ذلك العملاق الأخضر الذى توشك عضلاته على تفجير قميصه ، والذى يمشى مباعدًا ذراعيه عن خصره لأنه لا يستطيع إلصاقها به ..

غريب هذا ! إنه لم يحاول أن يزورك من قبل قط .. هذا ليس ناديًا يا شباب ..

يقول (جيمى) فى تهذيب وهو يتأمل الغرفة :

ـ « أرجو أن تكونى بخير يا مسز (وارن) .. كنت مارًا بالدار ورأيت أن أطمئن .. »

ـ « أنا بخير يا (جيمى) .. وإن كنت أفضل أن .... »

هنا تصيح (سارة) فى حماس وهى تدفع مقعدك :

ـ « لنجلس جميعًا بجوار حمام السباحة .. سوف تنفضين الكسل عن عظامك ! »

وقبل أن تتكلمى يكون الفتى والفتاة قد دفعا المقعد المتحرك إلى الحديقة التى يتوسطها حمام السباحة الصغير ...

الآن أنت تفكرين فى عمق .. ما سر كل هذا الحماس ؟

فكرى يا سيدتى .. أنصحك أن تفكرى ...

حينما سقطت من على الدرج أو كدت كانت (سارة) خلفك تجلب الماء .. لم تريها جيدًا .. من دفعك من الخلف وسط الزحام ؟ (جيمى) أنقذك .. فلماذا ؟ لأنه من الخطأ أن يتم هذا هنا وبين كل هؤلاء ..

فكرى يا سيدتى .. أنصحك أن تفكرى ...

تنظرين لأسفل فتلاحظين أن (جيمى) يلبس حذاء برتقاليًا ...

بعد حادث السيارة .. الفتاة كانت أميل للشر بينما الفتى كان مترددًا .. نفس ما حدث عندما كدت تسقطين .. الفتاة دفعتك والفتى أنقذك ..

فكرى يا سيدتى .. أنصحك أن تفكرى ...

هل هذه بارانويا ؟

لماذا عرضت عليك (سارة) المساعدة ؟؟؟

فكرى يا سيدتى .. أنصحك أن تفكرى ...

لماذا تدفع (سارة) المقعد بهذا القرب نحو حمام السباحة ؟ أنت على الحافة فعلاً .. مشلولة قعيدة وعلى الحافة .. دفعة أخرى وينتهى كل شىء ..

ولكن كيف تنوى أن تفسر ما سيحدث ؟ أنت غير قادرة على دفع المقعد .. الكل يعرف هذا .. لكن .. لم لا ؟ المقعد كهربى وربما يحدث له خلل ما .. ترينها تبكى أمام رجال الشرطة .. لقد ذهبت لأحضر لها كوب ماء .. ثم عدت لأجد المقعد وسط حمام السباحة ! لا أعرف كيف .. هذه المقاعد غير مأمونة على الإطلاق .. نزلت فى الماء لكنى وجدت أنها انتهت تمامًا ..

ثم تنفجر فى البكاء فيرق قلب الضابط ويربت على كتفها ...

الحذاء البرتقالى .. (سارة) و(جيمى) كانا فى السيارة إذن .. هما تركاك حيث أنت ورحلا .. الحذاء البرتقالى .. ولما عدت للحياة صارت حياتهما سوداء كالحة .. الحذاء البرتقالى .. إنهما متأكدان من أنك لم تميزيهما ، لكن من الوارد أن تتذكرى فى أية لحظة ...

فكرى يا سيدتى .. أنصحك أن تفكرى ...

(جيمى) بجوارك والحافة قريبة ..

ماء رقراق بارد ينتظر ضحيته ..

تغمضين عينك .. تأخذين شهيقًا عميقًا .. هذا لن يحدث لى ....

ركزى يا سيدتى .. أنصحك أن تركزى ...

المقعد يتحرك ببطء .. حركة بسيطة لم يلحظها (جيمى) وفجأة استجمعت إرادتك .. تحرك المقعد لليسار .. ثم اندفع بعنف ليوقع الفتى أرضًا وهو لا يفهم .. ثم المقعد ينقض عليه من الخلف ليوقعه فى حمام السباحة ..

ركزى يا سيدتى .. أنصحك أن تركزى ...

يجب أن تتماسكى .. يجب ألا يسقط المقعد بدوره ..

(جيمى) يرفع رأسه .. لا .. لن يحدث هذا .. تغمضين عينيك وترين رأسه تحت الماء .. لا تجعلى رأسه تحت الماء بل دعيه يبق تحت الماء .. هذا ممكن .. يصرخ ويبصق الماء ويتملص .. لكن قبضتك الخفية تعيده إلى هناك .. إنه بحاجة إلى الهواء .. أريد الهواء !

ركزى يا سيدتى .. أنصحك أن تركزى ...

الفتى يلهث يحاول رفع رأسه وأنت تتمسكين بالمقعد على الحافة بقوة عقلك .. يرفع رأسه .. تنزلينها تحت الماء .. يرفع رأسه .. تنزلينها تحت الماء .. يرفع رأسه .. تنزلينها تحت الماء .. ذق أيها الوغد !

الفتاة تصرخ وتبتعد مولولة ...

حركة الفتى تهمد ثم تتوقف .. الآن ترين أنه يرقد فى الماء بلا حراك ، وقد انتثر شعره سابحًا فوق المياه .. جثة عديمة النفع .. لقد انتهى ..

هنا فقط بدأ مقعدك ينزلق إلى حمام السباحة ..

لن يحدث هذا .. إن بوسعك أن ترفعى جسدك .. لم تجربى هذا قط يا سيدتى لكن متى تتوقعين أن تجربيه ؟ ركزى إرادتك .. أنت ترين نفسك سابحة فوق مستوى الماء بينما المقعد ينزلق إلى الأعماق .. ترين هذا وهذا ما سوف يكون ....

ركزى يا سيدتى .. أنصحك أن تركزى ...

جسمك جسم لا يختلف عن أية ملعقة قمت بتحريكها من قبل .. سوف تنجحين ..

يا له من شعور ! مغمضة العينين تدركين أنك ترتفعين عن الأرض بضعة سنتيمترات ، وأنك تنزلقين فوق وسادة من الحلم ..

لقد فعلتها ..

يجب أن تجدى الفتاة .. لابد من أن تجدى الفتاة ..

أنت تسبحين بعيدًا عن الحوض .. تسبحين فوق الحديقة .. تستديرين حول مدخل الدار .. أنت تدخلين من الباب .. لا ترين هذا لأنك مغمضة العينين لكنك تدركين أنك فعلتها ..

كما ترين يا سيدتى .. برنامجنا ناجح تمامًا وهذا يسرنا ..

أخيرًا تنهار قواك فتتركين جسدك يهبط .. تفتحين عينيك لتجدى أنك على مدخل قاعة الجلوس .. من جديد صار جسدك لا يختلف فى شىء عن ثيابك ..

من داخل الغرفة سوف تسمعين صوت زوجك .. لقد عاد

من الخارج ! حمدًا لله ! ولسوف يسرك هذا لأنه سيعيدك إلى المقعد ويتولى أمر الجثة الطافية فى حمام السباحة ..

لكن صبرًا .. هناك من يتكلم معه ..

هذا صوت (سارة) تقول :

ـ « أنت جننت حين علمتها التحريك عن بعد .. لقد رأيت ما فعلته الآن . لقد قتلته الآن .. قتلته أمام عينى .. »

يقول لها زوجك يا سيدتى :

ـ « لا أعتقد أنها تملك هذه الدرجة من البراعة .. كانت بحاجة إلى هذه التدريبات النفسية وكان على أن أقدم لها ما تريد .. لا تنسى أننى تزوجتها خصيصًا كى أريح ضميرى .. »

سوف تقول (سارة) :

ـ « إسمع يا (مايك) .. برغم أنك مدرس وأنا طالبة ، كانت بيننا قصة حب عميقة ، لكنك تخليت عنى بسبب هذا الحادث الأحمق .. تزوجتها لتكفر عن ذنبك وهذا يدل على شخصية ضعيفة بحق .. لكن الأمور صارت خطيرة الآن .. لقد هلك ذلك الفتى الذى لا ذنب له والذى جاء لمساعدتها .. ولسوف تكتشف هى قريبًا جدًا أن سائق السيارة التى سببت

عاهتها كان زوجها العزيز (مايك وارن) وأن الفتاة التى كانت معه هى أنا .. لقد حاولت أن أدفعها من فوق الدرج فى المدرسة لكن ذلك الأحمق (جيمى) أنقذها بأعجوبة .. لكنه لن ينقذها هذه المرة .. لقد مات غرقًا بيدها ! »

ثم تتدارك فتقول مصححة :

ـ « بل مات غرقًا بعقلها .. وأنا متأكدة مما أقول !! »

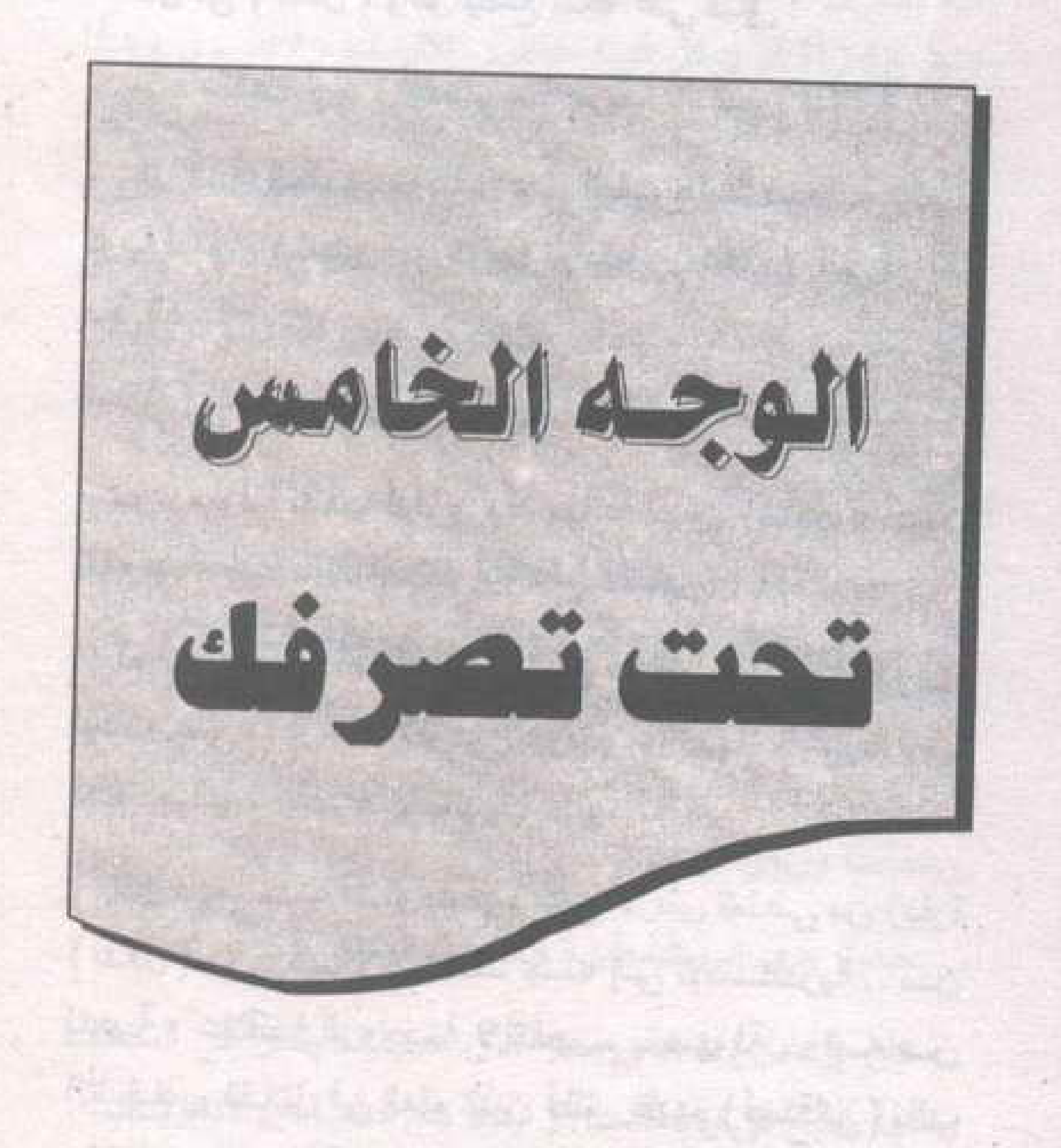
★ ★ ★

كانت هذه هى القصة الرابعة لى مع المحركين .. هنا امرأة قررت أن تخدش ذاتها لتجد معدن (التحريك عن بعد) البراق تحت صدأ الحياة اليومية ، وكان ما دفعها لذلك حافزًا قويًا هو أنها لاتريد أن تبقى عاجزة .. إلا أنها أدركت فى النهاية أن التحريك عن بعد لايعطى بالضرورة ملكة الاستبصار أو قراءة الأفكار ، ولربما تحاول تعلم هذا فيما بعد لو ظلت حية !

نهاية القصة مفتوحة طبعًا متروكة لخيالك ، وأنا أحب النهايات المفتوحة لأنها أكثر بلاغة .. وهذا يتسق مع حياتنا ذاتها حيث لا يجاب على كل الأسئلة ..

الآن الوجه الخامس والأخير من قصص المحركين التى عرفتها أو تعاملت معها .. هذه قصة عن لص وجد أنه يملك هذه القدرة .. هذا شىء مفزع ..

تعالوا نطالع القصة لنفهم أكثر ..



1

قال لى (عادل) وهو يضع ساقًا على ساق :

- « بالفعل أريد رأيك .. هذا غريب .. أليس كذلك ؟ »

هنا دخل الجندى الواقف على الباب حاملاً صحفة عليها كوب ليمون وشطيرة .. كريمًا لم ينس (عادل) أننى لم آكل منذ الصباح ..

قال لى وهو يشعل لفافة تبغ :

- « سوف نذهب لدارى بعد ساعة .. إن (سهام) أعدت لنا وجبة طيبة ، لذا أعتقد أن هذه الشطيرة .... »

لم أكن متحمسًا للذهاب لداره .. إن علاقتى بـ(سهام) زوجته ليست على ما يرام .. تعرفون موضوع أختها (هويدا) ثم ذلك السخيف الذى كان يشبهنى .. و ..

لكن مهما حدث فلا توجد قوة على الأرض تمنعنى من زيارة (عادل) من وقت لآخر كلما جئت إلى الإسكندرية .. من ناحية ؛ علاقتنا الروحية لا تنفصم بسهولة .. إنه من الأشخاص القلائل فى العالم الذين أطلق عليهم (أصدقائى) بقلب مستريح .. صداقة الصبا حيث تتلاقى روحان بلا أى سبب ..

لا شبهة نفاق .. لا منفعة مادية .. ليس زميلى فى العمل ولا رئيسى .. ليس قريبى فيفرض على .. حتى الحب بين رجل وامرأة قد يدخل فيه عنصر الانجذاب الجسدى وهذا لا علاقة له بالروح .. أما صداقة الصبا فلا تحكمها أية قوانين سوى تآلف روحين .. ومهما باعدت بيننا السنون فأنا أعرف جيدًا أنه يحمل لى ما أحمله له ، وأنه لن ينسى جولاتنا مع أصدقاء الصبا الآخرين على النيل وكورنيش الإسكندرية ، وأبيات الشعر الردىء والمشاجرة على لفافة التبغ الأخيرة معى ..

السبب الآخر الأقل أهمية لتعلقى بـ(عادل) نفعى جدًا وهو أنه من المفيد دومًا أن تعرف رجل شرطة عالى الرتبة .. هذا - أعترف - بالغ الأهمية فى مصر .. وفى رأيى أن كل أسرة وكل شلة أصدقاء يجب أن تضم بين أفرادها طبيبًا ومحاميًا ورجل شرطة ..

مددت يدى إلى الشطيرة وقضمت قطعة ..

كان (عادل) - الذى صار الآن عميدًا - ينظر إلى السقف ولفافة التبغ فى يده كأنما هو يسترجع حشدًا من الذكريات .. قال بعد تفكير :

- « بالفعل أريد رأيك .. أنت تعرف رأيى الخاص فى هذا الهراء الذى تتورط فيه منذ نعومة أظفارك .. تبدو لى خليطًا عجيبًا من عالم وطبيب ومغامر ومجنون ونصاب .. »

قلت فى برود :

- « شكرًا »

- « لا تتضايق منى .. لو لم أكن صريحًا معك فلا معنى لصداقتنا .. لكن فى هذه القضية بالذات أعرف أن رأيك ذو جدوى .. الجرائم التى أنا بصددها غريبة حقًّا .. لكنى وضعت يدى على المشتبه فيه وعلى ما سرقه .. فقط يجب أن أفهم كيف فعل ذلك .. وأن أضبطه متلبسًا .. »

قلت له بفم ملىء بالجبن الرومى :

- « هل تعنى أن لديك الجريمة ولديك المجرم ولديك المسروقات ؟ »

- « فقط لن تقبل أية محكمة كلامى ... هذه هى المشكلة .. »

★ ★ ★

قال (عادل) :

- « (شعبان البحيرى) .. صراف فى الخمسين من العمر .. أعتقد أنك تعرف باقى القصة .. »

قلت باسمًا :

- « صراف .. وأنا فى مديرية الأمن .. هل هى سرقة أم سرقة وقتل ؟ »

انفجر فى الضحك بطريقته المنفتحة التى تزلزل المكان زلزلة .. (عادل) كما عرفته دائمًا يفرح أو يسر فينفجر ضحكًا .. الاكتئاب عنده هو الانفجار فى البكاء .. الغضب عنده هو الضرب ..

قال وهو يلتقط أنفاسه :

- « ما زلت تفهمها (وهى طايرة) .. نعم .. هناك سطو طبعًا .. لكن الرجل سليم وإن كان قد تأذى كثيرًا .. لك أن تتخيل صراف الجمعية الزراعية ذا الخمسين عامًا يحمل تلك الحقيبة العملاقة العتيقة .. نحن فى الريف حيث كل واحد يعرف كل واحد والدار أمان كما يقولون .. لا يوجد لصوص فى هذه البلدة .. »

لا يوجد لصوص فى هذه المدينة .. هذا بالصدفة عنوان قصة قصيرة شهيرة لـ (ماركيز Marquez) .. وأواصل سماع (عادل) وهو يحكى :

- « يخرج الصراف من مقر عمله حاملاً الحقيبة الكبيرة

التى ينقلها إلى المصرف الصغير فى القرية .. غالبًا ما يفعل هذا وحده من دون أن يرافقه الخفير العجوز فى الجمعية .. حتى لو رافقه فالخفير لا يرى أبعد من مترين ، وبندقيته الحكومية لا تعمل على كل حال ..

يمر (شعبان) بمجموعة من الرجال يبادلهم السلام مع دعوة إلى الشاى لكنه يشكرهم ويواصل طريقه .. الآن يختصر الطريق بأن يعبر هذا الحقل الواسع الذى يوصله إلى المصرف من الخلف .. هذا حقل ذرة تم تبويره فلا تتوقع أن أحدًا كان يتوارى فيه ..

يمشى الصراف فى الحقل مسافة لا بأس بها قبل أن يتلقى قالبًا من القرميد فى جبهته .. هكذا سقط على الأرض .. وهكذا أخذت منه الحقيبة .. كان المكان منعزلاً تمامًا يسمح بأى شىء ..

قبل أن تسأل عن الصراف دعنى أؤكد لك أنه كان المشتبه فيه رقم واحد ، وهذا منطقى .. وقد تم حصاره بعنف .. يمكن لك أن تضرب جبهتك بقالب قرميد إذا كان الثمن عشرين ألفًا من الجنيهات(*) .. المهم أننا ضـ .. أ .. استجوبناه بدقة وعلى مدة عدة أيام وفى كل مرة نصل للنتيجة المنطقية : هذا الرجل برىء كطفل ..

(*) لاحظ أننا نتحدث عن زمن قديم .. حاليًا لم يعد أحد يسرق مبالغ كهذه !

قال الصراف إن أحدًا لم يكن فى الحقل .. هذا منطقى .. لا يمكن لذبابة أن تختبىء فى هذا الحقل .. هنا يأتى السؤال : من أين جاءت القذيفة .. لو مثلنا الحادث لوجدنا أنه ما من يد بشرية تستطيع قذف الحجر كل هذه المسافة .. لو جئت ببطل الأولمبياد فى رمى الجلة لما حقق هذه النتيجة ..

هناك بيوت على مقربة من الحقل أغلبها تم هدمه جزئيًا لتعديه على أرض زراعية .. لا يوجد سكان فيها لكن من الوارد أن يتوارى أحدهم هناك .. هنا يتكرر السؤال : وماذا بعد ؟ كيف تقذف قالبًا ثقيلاً كل هذه المسافة ليصيب هدفه ؟ طبعًا لا يمكن تصديق هذا ؛ لذا كنا نعاود استجواب الصراف البائس الذى انهار تمامًا .. »

تذكرت وهو يحدثنى قصة مصورة فرنسية قرأتها من قبل ـ على قدر درايتى المحدودة بهذه اللغة ـ وتحكى عن شىء كهذا .. كان المجرم يصوب مدفعًا يقذف الحجارة على ضحاياه وهو يراقبهم بتلسكوب .. طبعًا يصعب وضع هذا فى الاعتبار بالنسبة لقرية بدائية ..

واصل (عادل) الكلام :

ـ « على كل حال قمنا بعمل تحريات لا بأس بها ثم انتهى الأمر عند طريق مغلق .. لا نستطيع التقدم بعد هذا .. ثم جاءت الجريمة التالية .. »

* * *

2

قال (عادل) :

- « نحن الآن فى الإسكندرية فى محل الصائغ الخواجة (.....) الموجود فى شارع (.....) .. هناك رجل فى الأربعين من عمره يبدو على قدر من التهذيب يدخل المحل ومعه سيدة حسناء نوعًا .. يهب البائع ليلبى رغبتهما فيطلب الرجل أن يريا بعض الخواتم ..

الآن يبدأ مسلسل (هذا مناسب - هذا أجمل - لا هذا بلدى - ثمة شىء ما ينقص هذا) .. وهو المسلسل الممل الذى اعتاده الصياغ ..

فى النهاية قال الخواجة الذى جلس أمام منضدته ، والعدسة على عينه وهو يصلح سوارًا قديمًا : (فقّس الدفش) ..

ومعناها بلغة الصياغ طبعًا (تخلص من الزبون) .. هذه لغة خاصة بعضها مشتق من العبرية تستخدم غالبًا للكلام بحيث لايفهم الزبون ما يقال .. الزبون غير واعد لذا كلمة السر هى (فقّس الدفش) أو (هات الجفت) .. الأخيرة معناها (انس الأمر برمته) ..

كانت هناك على المنضدة الآن ثورة حقيقية من الخواتم .. هنا أعلنت المرأة أنها لم تحب أى شىء .. وعبثًا حاول البائع إقناعهما بأن هناك أذواقًا أفضل بلاجدوى .. المرأة مصممة على الرحيل فجأة وكذا الرجل ..

هذا الحماس المبالغ فيه للرحيل جعل البائع يراقبهما بحرص وعناية .. كلا .. لم تمتد أى يد لتدس خاتمًا فى جيب أو حقيبة ..

وفى النهاية بدأ يجمع الخواتم التى تناثرت على المنضدة الزجاجية ويعيدها لمواضعها فى لوحة الإسفنج .. طبعًا ليجد أن أربعة خواتم ليست فى مكانها ..

هرع إلى الخارج فقط ليجد السيارة تبتعد براكبيها .. سيارة عتيقة فى حال يسر الأعداء .. تمكن من قراءة الأرقام على اللوحة ، وعاد إلى المحل وهو يلطم خديه .. وسرعان ما اتصل الخواجة (صاحب المخل) بنا .. هذه من اللحظات المثالية التى نجد فيها خيطًا تحت أيدينا .. عندما نجد هذا الخيط ننطلق بأعنف وأسرع ما نستطيع .. قبضة القانون الصارمة تهوى فوق حشرات المجتمع لتهشمها .. لك أن تراهن إذن على أن المشتبه فيه كان فى أيدينا خلال ساعتين من البلاغ ..

لم تسفر التحقيقات مع صاحب السيارة عن شىء .. إنه مهندس زراعى يدعى (محمود أبو ربيع) .. لكنه لا يعمل حاليًا .. هو لا يعرف شيئًا عن هذه الاتهامات .. البائع مهمل فما ذنبى أنا ؟ البائع سارق فما دخلى بالقصة ؟

حدث الكثير من الضرر من هذه القصة ، ولابد أن العامل تم فصله .. بالإضافة إلى أن الخواجة لم يستعد الخواتم باهظة الثمن ، واضطررنا آسفين لإطلاق سراح المهندس لأننا لم نستطع قط اتهامه بالسرقة ..

هذه هى القصة الثانية ..

الآن تأتى القصة الثالثة ... »

★ ★ ★

قال (عادل) :

- « القصة الثالثة أكثر غرابة .. هناك السيدة (عواطف) .. إنها مديرة متقاعدة تعيش وحدها بعد وفاة زوجها وزواج أبنائها .. ليس لديها رفيق إلا خادمة عجوز مثلها .. الكل يعرف أنها ثرية وأن زوجها ترك لها ميراثًا لا بأس به أبدًا .. هى تعرف أنهم يعرفون وهكذا تحيل بيتها إلى قلعة .. هناك قفل محترم على الباب والنوافذ مدعمة بالحديد ..

وهى لا تفتح الباب إلا بعد تدقيق واستجواب للطارق مع تفحصه من خلال (العين السحرية) الموجودة فى الباب ..

هى تعرف جيدًا أنها (حادث ينتظر أن يقع) .. تفوح رائحة كريهة من الشقة فينتقل إليها المقدم (....) والنقيب (....) ثم يتم كسر الشقة ليجدوا جثتها مهشمة الرأس أو غارقة فى المغطس ، وقد اتضح أن دافع الجريمة هو السرقة ، وقد أمر اللواء (.....) بسرعة ضبط الجانى .. إلخ ..

هى تعرف هذا كله وتتصرف على أساس محاولة منع الأقدار من تنفيذ هذا المخطط .. تتخيل دائمًا أن هناك قاتلاً .. تضع نفسها فى مكانه .. كيف سيفكر وماذا سيفعل ؟ لعبة شطرنج أبدية بينها وبين قاتلها المحتمل وهى لا تنوى أن تخسرها ..

النتيجة : هذه المرأة تعرف فعلاً كيف تحمى نفسها .. أما الخادم العجوز فلا غبار عليها .. لو سرقت هذه المرأة يومًا فذلك لشراء كفن .. دعك من أنها بحاجة إلى من يعنى بها هى نفسها ..

الآن يصلنا بلاغ من المرأة .. هناك من تسلل إلى الشقة ليلاً وفاجأها والخادمة بضربتين على الرأس ففقدتا الوعى ثم سرق كل ما خف حمله وغلا ثمنه ..

ننتقل للمعاينة فنجد أن الباب فتح بمفاتيحه الخاصة .. لم يتم أى نوع من الاقتحام .. السارق قد دخل من الباب بينما المرأتان نائمتان ثم أفقدهما الوعى وسرق كل شىء ببساطة ..

كيف دخل ؟ لا يوجد عندى جواب .. من الصعب أن يفتح كل هذه الأقفال بمفتاح مستعار دعك من أن السيدة تترك المفتاح فى القفل الرئيسى ، مما يجعل إدخال أى مفتاح من الجهة الأخرى صعبًا ..

اقتحام النوافذ ؟ مستحيل .. قلت لك إنها مدعمة بالحديد ..

هكذا أجرينا تحقيقاتنا .. كانت القصة توشك على أن تضاف إلى سجل الجرائم الغامضة وضد مجهول ، لولا أننا رحنا نتتبع أقاربها .. جيرانها .. إلخ .. لعل أحدهم له سجل مهم ..

من تتصور ساكن الشقة فى الطابق العلوى ؟

نعم .. أنت خمنت .. المهندس الزراعى (محمود أبو ربيع) ذاته ! وقد رحنا نستجوبه بإلحاح .. إن المصادفات لا تتكرر بهذا الإفراط أبدًا .. استجوبناه وحصلنا على إذن من النيابة لتفتيش داره .. وقد راح يؤكد كالعادة أننا نقع فى خطأ جسيم .. الأجمل أننا عرفنا أنه كان يشرف على أرض زراعية فى إحدى القرى المجاورة للإسكندرية .. طبعًا أنت

تعرف أنها تلك القرية التى سرق فيها الصراف .. بل كان فيها عندما وقعت السرقة وهو ما لم نعرفه بعد حادث الصائغ وإلا لفكرنا ألف مرة قبل أن نطلق سراحه ..

لكن من العسير أن تتهم أحدًا بشىء وأنت لا تعرف كيف فعلها .. ثم أين ذهب ما سرقه ؟ حسابه فى المصرف متواضع .. بصماته غير موجودة على الإطلاق فى شقة العجوز .. هذا الجزء سهل لأن الكل يسرق بالقفازات اليوم .. إن هذه الأفلام السينمائية التى يعرضها التلفزيون ......

الآن أريد أن تعرف ما هو أكثر عن هذا المهندس ..

إنه فى الأربعين من عمره .. ليس له عمل ثابت .. مطلق حاليًا والمرأة التى دخلت معه محل الصائغ هى مشروع زواجه المقبل .. مهذب وعلى قدر من الثقافة والرقى ..

ثم حك ذقنه مفكرًا وهو ينظر إلى السقف :

- « ماذا أيضًا ؟ ماذا أيضًا ؟ آه ! ليس ثريًا على الإطلاق لكنه ليس معدمًا .. يعانى أزمات مالية طاحنة من حين لآخر .. ويدفع نفقة باهظة لزوجته السابقة .. لديه سيارة .. سيارة مهدمة خربة لكنها تؤدى الغرض .. الناس يقولون إنه لا غبار عليه وأن حظه النكد هو تفسير هذا كله .. أنت تكد

الحظ يا (رفعت) لكن هذا لم يجعلك تظهر فى كل جريمة سرقة تحدث فى القاهرة .. أنا أعرف ومتيقن تماماً من هذا الرجل هو المسئول عن هذه الجرائم .. »

وضعت كوب الليمون على المنضدة وسألته :

- « ولكن كيف ؟ »

* * *

3

قال (عادل) :

- « تعال معى نراجع الأحداث .. صراف يمشى وحده فى حقل .. لا أحد على مسافة مائة متر من كل الجهات .. فجأة ينطلق قالب قرميد ليضربه ويسرق .. هذه واحدة .. صائغ يعرض خواتمه على زبون لم يدس يده فى جيبه قط ، وبرغم هذا تختفى الخواتم .. سيدة عجوز أغلقت الباب عليها من الداخل بالمفتاح ، وبرغم هذا انفتح الباب بسهولة وسرقت .. فى كل مرة يبرز وجه المهندس الوقور ويقول إنه لا علاقة له بالموضوع .. ما معنى هذا ؟ »

قلت فى تردد :

- « واضح أنك تحاول حملى على قول إن هذا الرجل ذو قدرة سحرية .. »

ضحك كثيراً حتى ارتجت المديرية عدة مرات ، ثم قال :

- « ليس سحراً .. لكن لابد من شىء ما .. هذا الكلام الفارغ الذى تعرفه أنت .. لو أمسكنا بالورقة والقلم لوجدنا إن هذه السرقات مستحيلة .. لكنها حدثت .. »

- « هل سمعت عن التحريك عن بعد ؟ »

لم يعلق .. فقط ظل ينظر لى باهتمام .. فأردفت :

- « هناك أشخاص يملكون هذه الموهبة .. لو تخيلنا أن صاحب هذه الموهبة يتوارى فى إحدى البنايات المهدمة ويجعل قالب قرميد ملقى وسط الحقل يطير ليضرب الصراف فى رأسه .. لو تخيلنا أن صاحب الموهبة يجعل الخواتم تتواثب إلى جيبه خلسة بينما يداه واضحتان أمام البائع .. لو تصورنا أنه يستخدم موهبته ليدير المفتاح فى الأقفال من الخارج ثم ينفتح الباب فيدخل .. لو تصورنا هذا لوجدنا القصة قابلة للتفسير .. »

قال فى عدم تصديق :

- « هذا هراء .. فقرات حواة لا أكثر .. »

هنا دخل أحد الجنود حاملاً مجموعة من الأوراق ، فأخرج هذا قلمه وراح يمهرها بإمضائه وهو ينظر لى أكثر مما ينظر للأوراق ..

قلت بكبرياء :

- « التحريك عن بعد ، ظاهرة حقيقية ومعترف بها علميًا .. لا يجب أن تسخر مما لا تعرفه لكن عندى اعتراضين على هذه النظرية .. »

ناول الأوراق للجندى الذى أدى التحية وانصرف .. ثم سألنى وهو يعيد القلم لجيبه :

- « ما هى ؟ »

- « أولاً لم أسمع عن شخص بلغ هذا الشأن وهذه القوة .. قوة تحريك تعبر حقلاً وتنجح فى إدارة مفتاح فى القفل وتجعل الخواتم تقفز .. هذه قوة مريعة لا تصدق .. »

- « وثانيًا ؟ »

- « ثانيًا .. قوة التحريك تحتاج إلى جزء إيجابى من ذاتك .. يجب أن يكون العمل بناءً .. لم نسمع عن شخص استخدم قوة التحريك للسرقة .. أعتقد أن هذه القوى لا تعمل حينما تستعملها فى عمل شرير .. »

قال (عادل) باسمًا :

- « إن أغرب ما فى القصة لم يأت بعد .. هل تعرف أن طردًا وصلنا هنا فى المديرية الأسبوع الماضى .. وقد فتحناه ؟ ماذا كان فيه ؟ مبلغًا كبيرًا من المال هو بالضبط ما سرق من الصراف والعجوز .. مع مجموعة من الخواتم والمجوهرات هى ما سرق من الصائغ والعجوز ! »

- « ألحظة ندم هى ؟ »

ـ « هذا واضح .. ومع الطرد رسالة كتبت بخط (عفاريتى) غريب .. خط لم أر مثله قط يقول : أنا لست لصًا وإنما هى الحاجة .. وقد أنبنى ضميرى .. لذا أرجو أن تعيدوا هذه الأشياء لأصحابها وتسألوهم أن يسامحونى على أى ضرر .. »

قلت فى دهشة :

ـ « هذا غريب .. ما تمت إعادته ليس هينًا .. وماذا عن مرسل الطرد ؟ أعتقد أنه لا بد من التوقيع فى هذه الأمور .. »

مط شفته السفلى بمعنى أن هذا لا قيمة له وقال :

ـ « مكاتب بريد كثيرة يمكن أن ترسل طردًا معتمدة على بياناتك دون إطلاع على البطاقة الشخصية .. هكذا كان اسم المرسل هو (إبراهيم إسكندر) من (محرم بك) .. طبعًا هذا كلام فارغ لأننا لم نجد ذلك الشخص فى العنوان المذكور .. أنت تعرف من أرسل الطرد .. كلنا نعرف .. على كل حال لم يستطع موظف البريد أن يتذكر وجه المرسل .. لقد عرضنا عليه صور أخينا (محمود أبو ربيع) فلم يستطع أن يؤكد أو ينفى .. »

ـ « والخط ؟ »

ـ « ليس خطه طبعًا .. هل تحسبنا ننسى شيئًا كهذا ؟ »

قلت مفكرًا :

ـ « لو كان موضع التحريك عن بعد صحيحًا فمن السهل أن يحرك القلم بذهنه ليكتب ما يريد .. »

قال لى وهو ينهض ليرتدى بذلته :

ـ « اسمع .. الحل الأمثل هو أن نذهب لنراه الآن ! »

كدت أموت ارتباكًا ..

ما هى جدوى إجراء كهذا ؟ ولو كان هناك مبرر لدى (عادل) فما مبررى أنا وما صفتى لاقتحام حياة الرجل ؟ دعك من أن المحركين ـ على الأرجح ـ ليس لونهم أخضر وأكثرهم بلا ذيول .. هل يتوقع منى (عادل) أن أنظر للرجل .. أفتح فمه .. أنظر فى أذنه ثم أصيح : هذا من المحركين ! اقبضوا عليه !!؟؟؟

حاولت الاعتذار لكن (عادل) قال باشمئزاز وضيق :

ـ « يا أخى تعال .. ماذا تنوى عمله فى الإسكندرية إذن ؟ على الأقل سنكون معًا .. أليس هذا ما تريد ؟ »

هكذا وجدت نفسى أقاد إلى بيت الرجل ..

* * *

(ستانلى) ..

(عادل) يقفز على الدرجات قفزًا .. ثم يتوقف أمام باب حديدى لإحدى الشقق ويقول لى بصوته الجهورى :

- « هذا بيت صاحبتك .. السيدة (عواطف) .. »

كنت أنا قد نسيت كل شيء عن الموضوع فسألته (عواطف من ؟) .. فقال فى نفاد صبر :

- « العجوز التى سرقت شقتها .. لقد قامت بتثبيت هذا الباب الحديدى بعد الحادث .. يبدو أن اللص لم يسرق منها كل شيء .. »

ثم واصل صعود الدرجات حتى بلغ شقة أخرى فراح يدق الجرس بلا هوادة .. حتى تمنيت أن يتوقف ..

انفتح الباب ليكشف عن وجه رجل وقور فى الأربعين من عمره كما قلنا .. كان موشكًا على الصراخ حين فوجئ بـ (عادل) أمامه .. نظر له ونظر لى فى رعب ثم قال :

- « سيادة العميد .. كنت أتمنى أن أرحب بك لكن هذا أكثر مما أتحمله .. »

قال (عادل) وهو يتقدم إلى الداخل غير مبال بعدم الترحيب الواضح :

- « أنا لم آت بأية صفة رسمية .. أنا هنا بصفتى صديقًا .. ألا ترحب بأصدقائك ؟ ألم نلتق فى المديرية وشربنا الشاى معًا ؟ »

كان الرجل أصلع الرأس بادى التعاسة وقد أدركت أن (عادل) ضايقه بزياراته كثيرًا ، وفى كل مرة يزعم أن الصداقة هى السبب .. عسير أن تشعر براحة وأنت تتلقى زيارة من رجل الشرطة الذى يتهمك بالسرقة .. دعك من أن يكون هذا الرجل عميدًا ..

هتف الرجل وهو يغلق الباب وراءنا :

- « قلت لسيادتك إنه لا دخل لى بهذا كله .. أنا عاثر الحظ لا أكثر ولا أقل .. »

جلس (عادل) فى الصالون ووضع ساقًا على ساق وراح يفتش بعينيه فى المكان ، ثم سأل فجأة :

- « من أين تعرف (إبراهيم إسكندر) ؟ »

نظرت إلى وجه الرجل فلم يبد عليه أى اختلاج .. قال فى صدق :

- « لم أسمع هذا الاسم قط .. »

- « ليكن .. هل تنوى تقديم شاى لنا أم ننصرف ؟ »

طبعًا كان يتمنى لو كان له الخيار ، لكنه فضل أن يدخل إلى المطبخ ليعد لنا بعض الشاى .. وجلت بنظرى فى المكان بحثًا عن شيء غريب .. لا يوجد .. لكن حياة الرجل هى بالضبط كما وصفها (عادل) .. ليس ثريًا وليس فقيرًا ..

ما إن غاب الرجل حتى سألنى (عادل) بطريقته العدوانية الهجومية :

- « ما رأيك ؟ »

قلت فى نفاد صبر :

- « لو جمعت (فرويد) و(يانج) و(أدلر) معًا وطلبت منهم أن يعطوك انطباعًا عن هذا الرجل بعد ثلاث دقائق من لقائه ؛ لما نبسوا ببنت شفة .. »

ثم خطرت لى فكرة .. دنوت من (عادل) وهمست بها فى أذنه فوافق عليها .. بكثير من الشك وافق عليها ..

عاد الرجل حاملاً الشاى ليجدنى مع (عادل) ننظر إلى صورة فوتوغرافية صغيرة أحملها أنا .. وكنا نتهامس وننظر إليه وإليها خلسة ، فلما صار أمامنا وضعت الصورة مقلوبة على المنضدة فى شيء من الارتباك .. قال (عادل) بهمس مسموع :

- « فيما بعد .. فيما بعد .. هذا يفسر كل شيء .. »

ومد يده إلى كوب الشاى الخاص به ورشف منه فى نهم .. ثم سأل المهندس :

- « ألم تعد إلى قرية (النجفية) بعد ؟ »

واضح أن هذه هى القرية التى سرق فيها الصراف .. قال المهندس فى نفاد صبر يوحى بأنه يفهم إيحاء السؤال :

- « نعم .. لم أعد .. لقد انتهى عملى هناك مع صاحب الأرض .. »

- « ومما تصرف الآن ؟ »

- « مستورة والحمد لله .. »

كانت عيناه لا تفارقان الصورة المقلوبة وإن كان يحاول مقاومة هذا .. قال لى (عادل) وهو ينهض حاملاً كوب الشاى فى يده :

- « هل تعرف (ستانلى) جيدًا ؟ إن هذه النافذة تعطيك رؤية ممتازة .. »

وقفت أنظر معه إلى الجهة التى يقصدها .. ثم استدرنا فجأة نحو الرجل الذى لم يفارق مقعده ..

كما توقعت تمامًا ..

الصورة قد انقلبت ليصير وجهها لأعلى !

* * *

4

حين انتهينا من تأمل المشهد من النافذة عدنا لنجلس فى مقعدينا .. وكانت الصورة قد عادت كما تركتها .. مقلوبة لا تعرف ما فيها ..

وضع (عادل) كوب الشاى الفارغ على الصينية ، بينما تناولت أنا الصورة المقلوبة وعرضتها على المهندس :

- « هذا ابن أختى (رئيفة) .. أحتفظ بصورته دائمًا .. لقد صار طالب طب ويرغب فى أن يكون مثلى .. »

قال بلا حرارة :

- « ربنا يخلّى .. »

واتجهنا نحو الباب والرجل يتبعنا ..

وفجأة - وبلا أى داع واضح أو إنذار - فقد (عادل) كل البرود الذى تعامل به منذ البداية .. انقض على الرجل ليقبض على سترته ويقربه من وجهه بشراسة جمدت الدم فى عروقى ..

قال من بين أسنانه والرجل ينظر له عاجزًا عن الكلام :

- « والآن اسمعنى أيها اللص .. أنا أعرف أنك فعلتها وأنت

تعرف أننى أعرف أنك فعلتها .. ربما أرجعت المسروقات وربما استيقظ ضميرك لكن هذا لا ينفى أن عليك دينًا للدولة لا بد من تأديته .. هناك اعتداءات وأشخاص لا ذنب لهم جرحوا وضربوا وروعوا .. لا بد من أن تدفع ثمن هذا ولسوف تدفعه .. والآن اسمعنى أيها اللص .. لا تنس أننى ألاحقك .. لن تغيب عينى عنك حتى لو مات أحدنا .. عندما تصحو من النوم وتقابل بائع الصحف يجب أن تعرف أنه من رجالى .. عندما يصطدم بك راكب فى حافلة عليك أن تعرف أننى أرسلته .. جارك فى السينما من رجالى .. زوجتك المقبلة لو تزوجت ستكون مرشدة تتقاضى راتبًا من مكتبى .. لو فتحت نافذتك فلتعلم أن خبر ذلك قد وصلنى وأنا فى المديرية .. سأعرف كم رغيفًا التهمت فى العشاء وكم مرة دخلت الحمام عندما تصاب بالإسهال .. لن ينقذك منى إلا أن تموت .. لو كنت مكانك لمت .. هذا حل سعيد للجميع .. لكن إلى أن يحدث هذا فلتتذكر أننى أراقبك .. أننى أتحرش بك .. ويومًا ما سترتكب خطأ فادحًا .. عندها ستجدنى بانتظارك .. ولسوف أبرهن أمام المحكمة على أنك فعلتها .. لا أحد يستطيع خداعى أبدًا ! »

قال الرجل بضع كلمات لم يتبينها هو نفسه .. فقال (عادل) :

- « دعك من هذا السخف .. وحتى ذلك الحين سأزورك دائمًا .. سأكون معك فى كل مكان .. إما أن تعترف أو ترتكب ذلك الخطأ أو تجن أو تنتحر .. كلها حلول تروق لى فعلاً ! »

وبصوت كفحيح الأفعى قال :

- « لقد انتهى أمرك ! أنت صرت تاريخًا ! »

لاحظت فى استمتاع أنه يستعمل تعبيرًا إنجليزيًا هو You're history الذى لن يفهمه الرجل غالبًا .. بل سيفهمه .. سيفهمه حتمًا وهو يرى نظرة (عادل) المتوحشة ..

ثم أطلق سراحه وقال وهو ينظر له نظرة نارية :

- « هيا بنا يا دكتور ! »

* * *

فى سيارة (عادل) سألنى :

- « هل تعتبرنى قسوت عليه ؟ »

قلت له وأنا أرمق معالم الطريق :

- « لقد نجح الاختبار الصغير الذى عقدته له .. كانت صورة غير ذات أهمية ، لكن تمثيليتنا جعلته يوشك على الإصابة

بالخبال لو لم يعرف محتوى تلك الصورة .. هكذا فقد حذره وحركها ! أنت رأيت معى أنه لم يغادر مقعده .. برغم هذا انقلبت الصورة مرتين .. لقد أراد أن يلقى نظرة عابرة على هذا الشىء الذى نتهامس بصدده ، ولعله فكر فى أن أحدًا التقط له صورة تدينه .. »

- « أنا رأيت هذا .. أكره تصديقه لكنه حقيقى .. »

قلت فى كياسة :

- « أنا رأيت أحداثًا شبيهة من قبل .. كل هذا حقيقى .. لكن كيف تقنع أى وكيل نيابة أو أى قاض فى محكمة بذلك ؟ حتى لو حرك الرجل شيئًا أمامهما فلن يتخذاه دليل إدانة .. »

- « هذا ما أفكر فيه .. أنت لم تقدم لى الكثير فى الواقع .. كنت أعرف أن الرجل فعلها .. بتحريك أو من دونه هو فعلها ولا نقاش فى هذا .. كنت أعرف (ماذا حدث) و(لماذا حدث) .. أنت فسرت (كيف حدث) .. »

ابتسمت وقد تذكرت ما كان أساتذتنا يقولونه عن اختبار دارسى الطب .. طالب البكالوريوس يجب أن يعرف (ماذا حدث) وكفاه هذا .. طالب الماجستير يجب أن يعرف (كيف حدث) وكفاه هذا .. أما طالب الدكتوراه فلا أقل من أن يعرف (لماذا حدث) !

أما الأغرب والأكثر طرافة فهو أن (عادل) بطبيعته العملية نافذة الصبر لم يعط ثانية واحدة للدهشة .. فليحرك الرجل الأشياء بعقله أو بلعابه لا يهم .. هذه تفاصيل سخيفة .. المهم هو أن تقبض عليه .. ليس فى نفسه متسع لذرة واحدة من الفضول أو التساؤل الميتافيزيقى إنما هو يريد أوراقًا وأدلة وأحرازًا !

ساد الصمت بيننا .. ثم قلت :

ـ « لقد أعاد ما سرقه .. لماذا لا تتناسى الأمر ؟ »

ضغط على نفير السيارة فى عصبية .. لا أعتقد أن شيئًا كان يسد الطريق أمامه إنما هى طريقة للصراخ المحتج ، وقال :

ـ « لقد اعتدى على أناس أبرياء .. وضلل الشرطة .. إن جريمته لا تمحى بإعادة ما سرق .. لسنا فى مصلحة الضرائب هنا لنتكلم عن (التصالح) .. »

وساد الصمت بينما هو يوشك على ارتكاب عدة جرائم قتل بسرعته هذه ..

ثم قال لى :

ـ « اسمع .. إلى أين أنت ذاهب الآن ؟ سنتناول الغداء معًا .. »

ـ « قلت لك إننى لا أرغب فى .. »

ـ « أنا أرغب فى أن تصمت .. ستأكل عندى بلا مناقشة وكفانا أننا تأخرنا ساعتين على موعد الطعام .. »

* * *

لم تكن (سهام) فاترة جدًا ، وتمنيت أن تكون قد نسيت ما حدث من ذلك الوقح الذى يشبهنى .. من يدرى ؟ ربما لم يفسد كل شىء كما توقعت ..

كان (عادل) يلتهم الطعام التهامًا ويبدو أن شهيته تكون فى أحسن حالاتها عندما يكون عصبيًا .. كان يقول بفم ملىء بالمكرونة :

ـ « سترى ! سيجد ظهره للجدار فى النهاية .. ما من جهاز عصبى يتحمل كل هذا الضغط .. هيه ؟ لماذا لا تأكل هذا (الهباب) ؟ »

فرحت أعبث بشوكتى فى هذا (الهباب) وأنا أفكر .. يمكنه أن يجعل حياته جحيمًا وهو على ذلك قادر ، لكن ماذا بعد ؟

قلت له :

ـ « لماذا لا تجدون له تهمة أخرى ؟ أنت تذكر كيف أنهم لم يستطيعوا إثبات تورط (كابونى Capone) فى كل جرائم القتل والتهريب والابتزاز التى مارسها ، من ثم وجد له

(إليوت نس) تهمة تافهة بعض الشيء هى التهرب من الضرائب .. بفضل هذا قضى (كابونى) أهم أعوام حياته فى السجن وزال خطره .. »

قال وهو يفسخ بطة عملاقة على المائدة تفسيخًا ، ثم يلقى بنصفها تقريبًا فى طبقى :

ـ « كل .. كل .. أقول إن هذا صعب لأن الرجل لا يرتكب أخطاء تقريبًا .. إنه مواطن مسالم .. ويصعب أن تجد طرفًا تمسك به معه .. إنه كالكرة التى يستحيل أن تمسك بها .. »

ثم غرس الشوكة فى نصف البطة الآخر وقال :

ـ « اسمع .. ستأتى معى إلى المديرية هذه الليلة ولسوف نرسل فى استدعائه .. أريد أن تستجوبه أنت فى مكتبى .. أريد أن تصارحه بأننا نعرف تلك القدرة التى يملكها .. »

قلت محتجًا :

ـ « لكن لابد أن أعود إلى القاهرة اليوم و .. »

هتف فى حنق وهو يصب بعض الماء فى كوب :

ـ « لا تذكر أعذارًا فهى غير مقبولة .. سوف أقضى على هذا الثعبان اليوم !! »

هكذا رحت أواصل الأكل وأنا أفكر فى طريقة الفرار من هذا الإعصار الذى يبدو أنه اعتقلنى أنا بدلاً من اللص ..

★ ★ ★

5

مديرية الأمن وقدح القهوة الثالث ..

كنت جالسًا فى مكتب (عادل) أشعر بالحرج والملل ، بينما هو قد أرسل المخبرين ليحضروا (محمود) إلى هنا .. وقد حضرت عشرات المقابلات وسمعت مئات المكالمات الهاتفية .. ومن حين لآخر يدخل ضابط شاب لينظر لى نظرة تساؤل قبل أن يؤدى التحية لرئيسه ..

ويدخل الجندى المسئول عن الباب ويؤدى التحية فيقول (عادل) دون أن ينظر له :

ـ « قدح من القهوة للدكتور وكوب عصير لـ (أشرف) .. »

فأقول أنا فى وهن :

ـ « حقًا أنا لا أرغب فى ... »

ـ « ستشرب ! أنا قلت إنك ستشرب ! »

ـ « إذن فلماذا لا تشرب أنت أيضًا ؟ »

فيهتف فى حيرة غير مصدق :

ـ « أشرب أربعة أقداح من القهوة ؟ هل جننت ؟ كيف تتحمل معدتى كل هذا ؟! »

أما (أشرف) ابن (عادل) الوحيد فهو اليوم فى سن المراهقة ، وهو فتى وسيم شديد التهذيب .. لا أعرف لماذا اصطحبه (عادل) هنا لكن من الواضح أنه يفعل ذلك كثيرًا .. من الواضح أنه يعوده على جو الشرطة ليكون يومًا مثله .. وعلى كل حال بدا أن (أشرف) مستمتع بوقته حقًا ، وكان يحفظ المخبرين والجنود واحدًا واحدًا ..

بعد قليل دخل الجندى ليخبرنا أن (محمود) على الباب ..

أمر (عادل) بإدخاله .. وواصل كتابة أوراقه ليظهر عدم اهتمامه بالقادم ..

كان الانهيار العصبى باديًا على وجه المهندس حين دخل الغرفة .. مستسلمًا واهنًا منهكًا لدرجة أنه لا يستطيع الكلام ..

قال (عادل) دون أن ينظر له :

ـ « إجلس يا بشمهندس .. صديقى د. (رفعت) لديه ما يقوله لك »

قال الرجل محتجًا :

ـ « سيدى .. ألم يحن بعد الوقت الذى ترحموننى فيه ؟ »

قال (عادل) بطريقة المودة الزائفة تلك :

ـ « من قال إننا نضايقك ؟ نحن نحب أن نراك لهذا سنستدعيك كل يوم فى أى وقت لتجلس معنا هنا ونشرب الشاى هيا يا د. (رفعت) .. كلمه .. »

كان الموقف محرجًا .. لقد جلس الرجل جوارى يصغى لى وأنا أقدم له نظريتى المخبولة عن اللص الذى يحرك الأشياء عن بعد .. قلت إن لدى دليلاً واضحًا هو الصورة التى انقلبت .. وطلبت منه أن يريح ضميره ويعترف .. اللص الذى يعيد المسروقات هو شخص راغب فى إنقاذ روحه .. عليه أن يكمل هذا الإنقاذ باعتراف كامل ..

كان يصغى لى فى إنهاك وتعب .. لا بد أن الدجاجة لا تبدو بهذا المنظر وهى تنتظر الذبح .. فى النهاية قال لى :

ـ « سيدى .. أنتم تريدون خراب بيتى وهدم مستقبلى وتشويه سمعتى لمجرد فكرة واهمة عن التحريك عن بعد .. لا يوجد شىء كهذا ولو وجد فأنا لا أتمتع به .. هلا سمحتم لى بأن أرحل ؟ »

قال (عادل) كعادته دون أن ينظر له :

ـ « ليس بهذه السرعة .. ستنتظر بالخارج حتى يساعدك هذا على التذكر .. »

واستدعى الجندى وأمره بأن يظل الأستاذ جالسًا بالخارج فى الردهة حتى يطلبه ثانية .. « وهات له شايًا .. إنه يحب الشاى ! »

كنت أشعر بارتباك لا مثيل له .. لو كان هذا المهندس بريئًا وكان انقلاب الصورة مجرد وهم مر بنا ، فمعنى هذا أننا نبذل ضغطًا عصبيًا هائلاً على رجل برىء ..

لكن (عادل) لم يكن يملك أية شكوك .. وهكذا غادر المهندس الغرفة ..

ساد الصمت من جديد وأدركت أن (عادل) لن يفتح الموضوع ثانية لأن هذا صار مملاً .. فقط جلست أنتظر اللحظة التى يفرج فيها عنى لأرحل ..

* * *

بعد قليل دق الباب ودخل ملازم شاب ليقول :

- « سيدى .. إن (أبو شليب) معى .. هل ترغب فى أن تقابله أم ننهى نحن الموضوع ؟ »

رفع (عادل) عينيه متسائلاً ، ثم تذكر فقال فى لهفة :

- « لا .. لا .. طبعًا أريد أن أوجه له كلمتين .. »

هكذا انفتح الباب ليدخل ثلاثة جنود يحيطون بدب أشهب .. لا .. ليس دبًا .. إنه رجل على سبيل الترف التصنيفى .. فقط لإرضاء الأخ (لينيوس Linnaeus) وسواه ممن صنفوا المملكة الحيوانية .. فيما عدا هذا هو دب .. بحجم دب .. بملامح دب .. بشعر دب .. بعضلات دب .. ثمة ندبة جرح على خده تمتد من أسفل العين حتى الذقن .. له عين تالفة غطتها سحابة بيضاء .. تلك الأساور الحديدية السوداء التى يحبها

البلطجية .. لا أعرف ما فعله هذا الرجل لكنه مذنب .. بالتأكيد مذنب .. يكفى وكيل النيابة أن يضعه فى القفص وهو يزأر ويقول للقاضى : سيدى .. يكفى أن تتأملوا وجه هذا الرجل لتحكموا عليه بالإعدام ..

كانت الأصفاد فى يديه لكن الجنود كانوا متوترين فعلاً .. وكان يقلب وجهه فى الغرفة فى وقاحة وجشع .. وقعت عيناه علىّ فشعرت بنظرته تلتصق بخدى كأنها بصقة .. هذا أول إنسان أعرفه يجب ان تستحم بعد أن ينظر إليك ..

ثم نظر إلى (أشرف) الذى جلس فى مقعد قريب يراقبه فى توتر .. يبدو أن الفتى لم يحب المنظر فقال إنه سيخرج قليلاً .. واضح أنه يعرف كل ركن فى هذه المديرية ..

قال (عادل) باسمًا وهو يشير للسجين :

- « (رفعت) .. لك الشرف أن تلقى (أبو شليب) .. سفاح الأطفال الشهير .. لقد خنق طفلة فى السادسة لأن أمها كانت من الحمق بحيث تضع فى أذنيها ومعصميها ذهبًا يكفى هذا الوغد كى يبتاع عدة كيلوجرامات من الحشيش .. »

بصوت يشبه منظره قال الدب المكبل بالأصفاد :

- « لم أفعل شيئًا من هذا .. لماذا تضيعون وقتكم مع الشرفاء ولا تبحثون عن الفاعل الحقيقى ؟ »

- « إذن أنت مواطن شريف .. جميل .. جميل .. »

ثم لوح (عادل) بالقلم فى وجه الرجل وقال :

ـ « كل شيء ثابت ضدك وسوف تعترف .. حتمًا ستعترف .. ولسوف تشنق .. لهذا أنا أمارس مهنتى .. كى يختفى أمثالك من عالمنا .. »

قال السفاح بطريقته الفظة المتحدية :

ـ « يا فتاح يا عليم .. لماذا لا تجدون الفاعل الحقيقى ؟ »

قال (عادل) فى اشمئزاز :

ـ « خذوه واعرفوا منه كل شيء .. من لحظة ولادته .. »

هكذا غادر الرجل الغرفة ومعهم زالت تلك الرائحة الكريهة التى كانت تنطلق من أنفاس الرجل وعرقه ..

قال (عادل) باسمًا :

ـ « قد لا تحب عملنا لكن لا تنكر أنه مثير .. لابد أن هنا العلاج الأمثل لمللك التقليدى ! »

قلت وأنا أجفف عرقى :

ـ « مثير أكثر من اللازم لو أردت رأيى .. لا أحب أبدًا أن ألقى هذا الرجل خارج المديرية حرًا وبلا أصفاد .. »

ـ « هذا يشعرك بالإنجاز .. قبل أن تذهب لعملك كان هذا الوغد حرًا يفعل ما يشاء .. بعد انصرافك من عملك لم يعد هناك .. لقد زال .. إن هذه .... »

هنا سمعنا الصراخ قادمًا من الردهة ....

★ ★ ★

كان المشهد مثيرًا بالخارج ..

وقد سبقنى (عادل) بوثبتين إلى هناك على حين تبعته بقدمين لا تصمدان ..

كان هناك زحام لكنه يترك مسافة معقولة من مركز الدائرة .. ومركز الدائرة كان (أبو شليب) نفسه .. لكنه لم يكن وحده .. كان يمسك بـ (بأشرف) ابن (عادل) وقد لف سلسلة الكلابش حول صدره .. بينما يده الحرة تضع نصلاً حادًا على عنق الفتى ..

وسمعت أحد الضباط الواقفين يقول فى رعب :

ـ « لقد غافل حراسه وبسرعة البرق أخرج هذا (البستك) الذى كان يخفيه فى خده ، ثم انقض على الفتى .. »

وهتف آخر فى عدم تصديق :

ـ « ألم يفتشوا خده ؟ تبًا للإهمال ! »

طبعًا يمكنه أن يدخل أنامله فى فمه حتى لو كانت يده مكبلتين بالأصفاد ..

ضابط شاب متحمس أخرج مسدسه و صوبه نحو رأس الرجل ، لكن يد (عادل) الحازمة وضعت على يده وقال :

ـ « لا تفعل ! إن رأس (أشرف) قريب جدًا .. وقد تتقلص يد الرجل على النصل .. »

وتقدم فى تظاهر بالثقة نحو الدب الذى يقيد الفتى .. كان مرتبكًا لكنه يحاول ألا يظهر ذلك ، وقد أدرك أن الكل قرر أن يترك له وحده اتخاذ القرار .. ليس هناك سواه كى يقول ويفعل .. ليس هذا من حق واحد آخر ..

قال وهو يمد يده نحو (أبو شليب) :

- « اتركه يا (أبو شليب) أنت أعقل من هذا .. »

أعقل ؟ طبعًا لا لأن الرجل تراجع بظهره ليصير ملاصقًا للجدار ، تحت لوحة شعار وزارة الداخلية ، وراح يردد فى هستيريا :

- « ربنا يخلى البيه الصغير يا باشا .. ربنا يخلى البيه الصغير يا باشا .. ربنا يخلى البيه الصغير يا باشا .. »

ثم انفجر ضاحكًا .. لماذا لا ينظف هؤلاء السفاحون أسنانهم جيدًا ؟

الفتى يبكى وهذا يحطم الأعصاب فعلاً ..

سأل (عادل) الدب وهو يتقدم أكثر :

- « كلمنى .. ماذا تريد ؟ »

- « أريد أن أخرج من هنا .. سوف آخذ (البيه الصغير) معى .. وحين أكون فى مكان آمن سأطلق سراحه ! »

ضابط آخر أخرج مسدسه لكن (أبو شليب) هتف :

- « آه ! لا تطلق الرصاص على .. قد أسقط فيجرح هذا النصل رقبة (البيه الصغير) .. لا تنس أننا جميعًا تهمنا سلامة (البيه الصغير) ! »

* * *

- « قد لا تحب عملنا لكن لا تنكر أنه مثير .. لابد أن هنا العلاج الأمثل لمللك التقليدى ! »

قلت وأنا أجفف عرقى :

- « مثير أكثر من اللازم لو أردت رأيى .. لا أحب أبدًا أن ألقى هذا الرجل خارج المديرية حرًا وبلا أصفاد .. »

* * *

يا له من موقف !

أنا أعرف مواقف الرهائن هذه Hostage situations وهى تنتهى دومًا فى الأفلام الأجنبية بأن يطلق المجرم سراح الضحية لأنه تعب .. لكن هل يشاهد (أبو شليب) أفلامًا أجنبية ؟

إنه يائس ومجنون ، ومن الواضح أنه سيفعل أى شىء .. ربما يقتل الفتى فعلاً ثم يموت راضيًا سعيدًا ..

هنا حانت منى التفاتة إلى اليسار .. رأيت رجلاً نسيت وجوده ..

المهندس (محمود) يقف جوار الحائط وقد نسى الجميع أنه موجود .. كان يراقب المشهد بعينين متسعتين .. ثم رأيته يضغط على شفتيه .. الأوردة تبرز فى جبهته وتوشك على الانفجار .. وجهه أحمر تمامًا ..

هل أتخيل أم أن هذا الرجل .... ؟

إما أنه يفعلها وإما أنه يموت بنوبة قلبية الآن ..

كان (عادل) الآن يقف بقربى فجذبته من كمه ليرى المشهد الرهيب ..

كان المهندس يركز ويركز .. قلبه يوشك على التوقف أو هذا ما بدا لنا ..

فى اللحظة التالية رأيت الشىء يتحرك .. تلك اللوحة العملاقة التى تحمل نسر وزارة الداخلية والمعلقة فوق رأس (أبو شليب) .. رأيتها تتحرر من حبالها .. ترتفع فى الهواء .. تجتاز ممرًا غير ممكن فيزيائيًا كأن الرجل الخفى يحملها ..

ثم ارتفعت قليلاً لتكتسب طاقة الوضع اللازمة ، ثم هوت فوق رأس الرجل بأقصى قوة .. وهو مشهد له دلالته .. نسر الوزارة يهشم رأس السفاح ..

صرخ الرجل .. آى ! ونظر لأعلى ليرى من هذا الذى ضربه .. هنا هوت اللوحة على رأسه بعنف أكثر وفى هذه المرة

تراجع للوراء وترنح رأسه .. يحتاج هذا الرجل إلى أكثر من ضربتين ليفقد وعيه .. ربما لو صدمه قطار مسرع لأصيب بصداع ..

وأمام عينى المذهولتين رأيت النصل يقفز من يده ليسقط على الأرض ..

كانت هذه هى الإشارة كى يتحرر (أشرف) ، وهى الإشارة ذاتها التى كان ينتظرها كل هؤلاء كى ينقضوا على الرجل .. فى ثوان لم أعد أراه من كل الأجساد التى تكأكأت فوقه .. وتطايرت اللكمات فى الهواء .. سوف يتحول إلى هامبورجر خلال نصف دقيقة لكنى لا أتعاطف معه على الإطلاق ..

(عادل) يحتضن ابنه وكلاهما يبكى .. رجل الشرطة الصارم يبكى ويلثم شعر ابنه غير مصدق ..

ثم رفع الأب وجهه المبلل بالدمع وقد صار صدر قميصه كله مبتلاً .. رفع وجهه نحو المهندس الزراعى الذى تقدم منه فى بطء ..

للحظة ساد صمت ثقيل ولم يقل أحدهما شيئًا ..

قال المهندس وهو يمد يديه لـ (عادل) :

ـ « أعتقد أنك تلقيت الإجابة على أسئلتك يا سيدى العميد .. سوف أكرر التجربة فى المحكمة لتصدقك إذا أردت .. »

ثم شهق فى إنهاك وقال :

ـ « حان الوقت كى تنتهى لعبة القط والفأر هذه .. لقد تعبت .. أنا تحت تصرفك يا سيدى .. »

نظر له (عادل) ثم نظر لـ (أشرف) ثم لى ..

ثم التفت إلى أحد جنود الحراسة فى الردهة وقال بعصبية :

ـ « ماذا يفعل هذا الأخ هنا ؟ أنا لا أعرفه .. حسبت أن عملك هو أن تمنع العابرين من الوقوف أمام مكتبى ! »

والتفت إلى أحد الضباط الشبان وقال :

ـ « أرسل مع هذا الرجل ـ الذى لم أره من قبل ـ سائقًا يوصله إلى بيته .. »

واستدار مبتعدًا وتبعته أنا و(أشرف) عبر الردهة الطويلة ..

★ ★ ★

خاتمة

كانت هذه هى خبراتى الأساسية مع المحركين ..

صحيح أننى احتككت بهم أكثر من مرة ، لكن هذه هى الخبرات الأهم على كل حال وكما قلت كثيرًا من قبل : هؤلاء لا يعلنون عن أنفسهم وليسوا استعراضيين بالمرة ، لا أعرف إن كنت أنت منهم أم لا .. ثمة احتمال لا بأس به أن تكون منهم لكنك تجهل هذا .. ثمة احتمال أن يكون صديقك منهم لكنه ينكر هذا .. أعرف شيئًا واحدًا يقينًا : أنا لست منهم ..

هل راقت لك هذه المجموعة من القصص ؟ أرجوا هذا .. ربما أكررها فيما بعد وربما لا أفعل .. هناك من يفضلون القصة الطويلة الدسمة وهناك من يفضلون الومضات السريعة القصيرة .. أنا أملك حبًا أصيلاً للقصص القصيرة خاصة إذا ما جمع بينها خيط وهو أسلوب (البورتامنتو) الذى كلمتكم عنه من قبل ، لكن هناك كثيرين قد لا يحبونه ..

يبدو أن هذا الصيف لن يحوى الكثير من الرعب ، لأن لنا لقاءات أخرى مع القدرات النفسية الخارقة أو الظواهر غير القابلة للتفسير ..

سوف نتحدث عن العلامات الدامية .. وهى ظاهرة يعرفها كل من تعامل مع عالم ما وراء الطبيعة أو سمع عنها .. كلا .. ليست الـ Stigmata التى هى ظاهرة دينية معروفة فى الغرب .. سوف نتحدث عن العلامات الدامية التى ....

ولكن هذه قصة أخرى .

د. رفعت إسماعيل

القاهرة

★ ★ ★

ما وراء الطبيعة

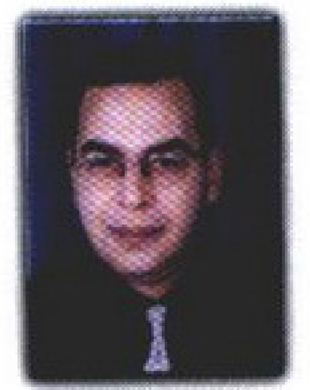
روايات تحبس الأنفاس

من فرط الغموض والرعب والإثارة

روايات مصرية للجيب

أسطورتهم

نعم .. المزيد من القصص
عن ظاهرة التحريك عن بعد ..
سوف نعرف المزيد عنهم .. هل هم قريبون
منا إلى هذا الحد ؟ .. أم هم كيانات أسطورية
متخفية وبعيدة جداً ؟ .. هل حقاً نملك جميعاً
تلك الموهبة ؟ .. هل هم أشخاص مثلنا عرفوا
كيف يفجرون ينبوعهم الخاص ؟ ..
الأسئلة كثيرة منهكة ، وبعضها بلا إجابة على
الإطلاق ، لهذا نتحدث اليوم عن
(أسطورتهم) ..



د. أحمد خالد توفيق

العدد القادم :

أسطورة العلامات الدامية

الثمن في مصر ٢٥٠ م
ومايعادله بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم

طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

